



الهيئة العامة
الاسبورية للكتبات

الرأسمالية: قصة شبح

المشروع الوطني للترجمة
العلوم الإنسانية

رئيس مجلس الإدارة
الدكتورة لبانة مشوح
وزيرة الثقافة

المشرف العام

د. نايف الياسين

المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير

د. باسل المسائلة

الإشراف الطباعي


أنس الحسن

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد



الرأسمالية: قصة شبخ



تأليف: أرونداتي روي
ترجمة: منور الزعبي

الهيئة العامة
للسوربة للكتاب

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

العنوان الأصلي للكتاب:

عنوان الكتاب: **Capitalism: A Ghost Story**

الكاتب: **Arundhati Roy**

الناشر: **Haymarket Books in 2014**

المتريمة: **منور الزعبي**

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراء المؤلف ومواقفه ولا تعبّر
(بالضرورة) عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

يسأل دمك: كيف تداخل القانون مع الأثرياء؟

بأيّ نسيج حديدي كبريتي؟

كيف يستمر الفقراء في السقوط في المحاكم؟

كيف صارت الأرض مريرة جداً

على الأطفال الفقراء، الذين

يتغذون بقسوة على الحجر والأسى؟

كان الأمر كذلك، ومن ثمّ تركته مكتوباً كذلك

كتبها أرواحهم على جيني.

بابلو نيرودا

"القضاة"

الهيئة العامة
السورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

تمهيد

تلقى الرئيس التحية

يقول الوزير إنه يجب على الناس مغادرة قراهم والانتقال إلى المدن من أجل الهند. إنه رجل من جامعة هارفارد. يريد سرعة وأرقاماً. يعتقد أن خمسمئة مليون مهاجر، سوف يُشكلون أنموذجاً لعملٍ تجاري جيد.

لا يجب كل الأشخاص فكرة امتلاء مدنهم بالفقراء. كان هناك قاضي في بومباي يُسمّى ساكني الأحياء الفقيرة بنشالي الأراضي الحضرية. وكان آخر يقول أثناء الأمر بهدم المساكن غير المصرح بها إنه يجب على الأشخاص الذين لا يستطيعون العيش في المدن ألا يعيشوا فيها.

عندما عاد أولئك الذين جرى إجلاؤهم إلى المكان الذي جاؤوا منه، وجدوا أن قراهم قد اختفت تحت السدود العظيمة ومقالع الحجارة المغبرة. احتل الجوع ورجال الشرطة منازلهم. كانت الغابات مليئة بالمقاتلين المسلحين. وجدوا أن الحروب قد انتقلت من أطراف الهند، في كشمير، وناجالاند، ومانيبور، إلى وسطها. عاد الناس ليعيشوا في شوارع المدينة وأرصفاتها، في أكواخ في مواقع بناء مغبرة، متسائلين أي ركن من أركان هذا البلد الضخم كان مخصصاً لهم.

قال الوزير: إن المهاجرين إلى المدن كانوا في الغالب من المجرمين و"أُتسموا بنوع من السلوك غير المقبول بالنسبة إلى المدن الحديثة". أُعجبت الطبقة المتوسطة به بسبب صراحته، وشجاعته على أن يسمّي الأشياء

بمسمياتها. وقال الوزير: إنه سيقوم المزيد من مراكز الشرطة، وسيجند المزيد من رجال الشرطة، ويضع المزيد من مركبات الشرطة على الطريق لتحسين القانون والنظام.

في محاولة لتجميل دهلي في دورة ألعاب الكومنولث، جرت الموافقة على قوانين جعلت الفقراء يَخْتَفُونَ، مثل بقع الغسيل. اختفى الباعة المتجولون، وفقد سائقو عربات الريكشا تراخيصهم، وأغلقت المتاجر والمشاريع الصغيرة. وألقي القبض على المتسولين وحاكمهم قضاة في محاكم متنقلة وأُخرجوا إلى خارج حدود المدينة. حُجِبَت الأحياء الفقيرة التي بقيت، مع لوحات إعلانية من الفينيل تقول لك على طريقة دهلي "مصنوع في دهلي لك دوماً".

قامت مجموعات جديدة من رجال الشرطة بدوريات في الشوارع، مسلحين على نحو أفضل ولباس أفضل، ومدربين على عدم حكّ أعضائهم التناسلية في الأماكن العامة، مهما استفحلت الإثارة لذلك. كانت هناك كاميرات تسجل كل شيء في كل مكان.

هربت مجرمتان شابتان من حملة تفتيش الشرطة، وكانتا ممن تسلكان نوعاً من السلوك الذي لا يمكن قبوله في المدن الحديثة واقتربتا من امرأة جلست بين نظارتها الشمسية والمقاعد الجلدية لسيارتها اللامعة عند تقاطع المرور. طلبتا المال بلا استحياء. كانت المرأة غنية ولطيفة. لم يكن رأسا المجرمتين أعلى من نافذة سيارتها. كان أسماؤهما روكميني وكاملي. أو ربما مهرونيسا وشهبانو. (من يهتم لذلك). أعطتهما المرأة مالاً ونصيحة أمومية. عشر روبيات إلى كاملي (أو شهبانو). قالت لهما: "اقتسماها"، وابتعدت بسرعة عندما تغيرت إشارة المرور.

مزقت روكميني وكاملي (أو مهرونيسا وشهبانو) بعضهما بعضاً مثل مصارعين، مثل محكومين مؤبداً في ساحة سجن. حملت كل سيارة أنيقة مرت من جانبها بسرعة، وكادت تسحقهما، على بابها اللامع انعكاس معركتها، وقتالهما حتى النهاية.

في نهاية المطاف اختفت الفتاتان كلتاهما دون أي أثر، كما هو حال آلاف الأطفال في دهلي.

كانت الألعاب عملاً ناجحاً.

بعد شهرين، في الذكرى الثانية والستين ليوم الجمهورية في الهند، استعرضت القوات المسلحة أسلحتها الجديدة في موكب يوم الجمهورية: نظام قاذف صواريخ، وراجمه صواريخ روسية، وطائرة مقاتلة، ومروحيات خفيفة، وأسلحة تحت الماء للبحرية. كانت دبابة القتال الجديدة T-90 تسمى بهيشما (كانت الدبابة الأقدم تُدعى أرجون). إنَّ فاروناسترا هو اسم أحدث طوربيد ثقيل الوزن، وكان ماريش نظام خداع لمراوغة الطوربيدات القادمة. (كانت أسماء هانومان وفاجرا هي الأسماء المرسومة على العربات المدرعة التي تجوب شوارع كشمير المتجمدة). كانت الأسماء من كتاب بهاغافاد غيتا وملحمتي رامايانا ومهابهاراتا مصادفة. ركب شرطة الحدود الهندي من فيلق الجيش لسلاح الإشارة على الدراجات النارية مشكّلين صاروخاً؛ ثم شكلوا مجموعة من الطيور الطائرة وفي نهاية المطاف شكلوا هرماً بشرياً.

عزفت فرقة الجيش النشيد الوطني. تلقى الرئيس التحية .

قامت ثلاث طائرات مقاتلة من طراز سوخوي بصنع الريح الثلاثي
في السماء. الريح الثلاثي للإله شيفا. هل الهند جمهورية هندوسية؟ هل هي
كذلك عن طريق الخطأ أم بالمصادفة.

رفع الحشد المبتهج وجهه نحو شمس الشتاء الضعيفة وشفق
للألعباب البهلوانية. حملت الجوانب الفضية الوامضة للطائرات في السماء
انعكاس شجار روكمني وكاملي (أو مهرونيسا وشابانو) حتى الموت.



الهيئة العامة
السورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

الفصل الأول

الرأسمالية: قصة شبخ

هل هو منزل أم وطن؟ هل هو معبد للهند الجديدة أم مستودع لأشباحها؟ لم تعد الأمور كما هي منذ أن ظهر مبنى أنتاليا في طريق ألتامونت في مومباي، مُظهراً الغموض والتهديد الهادئ. قال لي الصديق الذي اصطحبني إلى هناك: "ها نحن هنا". "قدم احترامك لحاكمنا الجديد".

تعود أنتيلا إلى أغني رجل في الهند، موكيش أمباني. لقد قرأت عن أعلى مسكن بُني على الإطلاق، المؤلف من سبعة وعشرين طابقاً، وثلاثة مهابط للطائرات العمودية، وتسعة مصاعد، وحدائق معلقة، وقاعات احتفالات، وغرف ذات فسحة، وصلات للألعاب الرياضية، وستة طوابق لمواقف السيارات، وستمئة خادم. لم يجهزني شيء للجدار العمودي من العشب الذي يصل ارتفاعه إلى ٢٧ طابقاً من العشب المتصل بشبكة معدنية ضخمة. كان هناك بقع يابسة من العشب؛ وقد تساقطت أجزاء منه في مستطيلات أنيقة. من الواضح أنّ نظرية التدي للأسفل لم تنفع.

لكن من المؤكد أنّ نظرية التدفق قد نفعت بالفعل. لذلك فإنّ في أمة يبلغ تعداد سكانها ١,٢ مليار نسمة، يمتلك أغني مئة شخص في الهند أصولاً تُعادل ربع الناتج المحلي الإجمالي^١.

كان الحديث في الشارع (وفي نيويورك تايمز)، أو على الأقل كان، بعد كل ذلك الجهد والبستنة، فإن عائلة أمباني لا تعيش في مبنى أنتيلا^٢. لا أحد يعرف على وجه اليقين. لا يزال الناس يهمسون عن الأشباح وسوء الحظ، ومبادئ التصميم والفتح شوي. ربما هذا كله خطأ كارل ماركس. (كل ذلك الشتم). قال إن الرأسمالية: "استحضرت مثل هذه الوسائل الضخمة للإنتاج والتبادل، لدرجة أنها مثل الساحر الذي لم يعد قادراً على التحكم في قوى العالم السفلي الذي استدعاه بفعل تعاويذه"^٣.

يعيش ثلاثمئة مليون نسمة منا في الهند، نحن الذين ننتهي إلى الطبقة الوسطى الجديدة التي تُسمى طبقة "الإصلاحات" في فترة ما بعد صندوق النقد الدولي - السوق - يعيشون جنباً إلى جنب مع أرواح العالم السفلي، الأرواح الشريرة في الأنهار الميته، والآبار الجافة والجبال الجرداء والغابات العارية؛ مع أشباح مئتين وخمسين ألف مزارع مُثقل بالدين ممن قتلوا أنفسهم، وثمانمئة مليون ممن افتقروا وطُردوا لإفساح الطريق لنا؛ يعيشون على أقل من عشرين روبية هندية في اليوم^٤.

تبلغ ثروة موكيش أمباني شخصياً عشرين مليار دولار^٥. يحتفظ بغالبية الحصة المسيطرة في شركة رليانس للصناعات المحدودة (RIL)، وهي شركة برأسمال سوقي قدره سبعة وأربعون مليار دولار ومصالح تجارية عالمية تشمل البتروكيماويات، والنفط، والغاز الطبيعي، وألياف البوليستر، والمناطق الاقتصادية الخاصة، وتجارة تجزئة الأغذية الطازجة، والمدارس الثانوية، وأبحاث علوم الحياة وخدمات تخزين الخلايا الجذعية. اشترت شركة رليانس للصناعات المحدودة مؤخراً خمسة وتسعين في المئة من

الأسهم في شركة إنفوتل، وهو اتحاد تلفزيوني يتحكم في سبع وعشرين قناة إخبارية وترفيهية تلفزيونية، بما في ذلك CNN-IBN و IBN Live و CNBC و IBN Lokmat و ETV بجميع اللغات الإقليمية تقريباً^٧ - تمتلك إنفوتل الترخيص الوحيد واسع النطاق للجيل الرابع من تقنيات الاتصال السريع 4G، وهو خط معلومات عالي السرعة الذي يُمكن أن يكون مستقبل تبادل المعلومات إذا ما نجحت التكنولوجيا^٨. يمتلك السيد أمباني أيضاً فريقاً للكريكت.

إنّ شركة رليانس للصناعات المحدودة هي إحدى الشركات القلائل التي تدير الهند. وبعض الشركات الأخرى هي شركات مجموعة تاتا و جنرال و فنداتا و ميتال و إنفوسيس و إيسار، وشركة رليانس الأخرى (ADAG)، المملوكة لأنيل شقيق موكيش. امتد سباقهم على الازدياد إلى أوروبا وآسيا الوسطى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. تنتشر شبكاتهم انتشاراً واسعاً. وهي شركات مرئية وشركات خفية، فوق الأرض وكذلك تحت الأرض. تُدير شركة تاتاس، على سبيل المثال، أكثر من مئة شركة في ثمانين دولة. إنهم أحد أقدم وأكبر شركات الطاقة في القطاع الخاص في الهند. فهم يمتلكون مناجم، وحقول غاز، ومصانع الصلب، والهاتف، وشبكات التلفاز، وشبكات النطاق العريض ويديرون بلدات بأكملها. يُصنّعون السيارات والشاحنات ويمتلكون سلسلة فنادق تاج، وجاكوار، ولاند روفر، ودايو، وتيتلي تي، وهي شركة نشر، وسلسلة من متاجر الكتب، وعلامة تجارية مهمة للملح الميُود، وشركة لاكمي العملاقة لمستحضرات التجميل. قد يكون شعارهم الإعلاني ببساطة هو: لا تستطيع العيش من دوننا .

وفقاً لقوانين بشارة نظرية التدفق، كلما امتلكت المزيد، يمكنك الحصول على المزيد.

جعل عصر خصخصة كل شيء من الاقتصاد الهندي أحد أسرع الاقتصادات نمواً في العالم. ومع ذلك، كما هو الحال مع أي مستعمرة قديمة الطراز، فإن أحد صادراتها الرئيسية هو المعادن. إن الشركات الضخمة الجديدة في الهند مثل تاتا، وجيندال، وإيسار، ورليانس، وستيرلايت، هي تلك التي تمكنت من شق طريقها إلى رأس الصمام التي ينز الأموال المستخرجة من أعماق الأرض. إنه حلم تحقق لرجال الأعمال — بأن تمكنوا من بيع ما لا يضطرون إلى شرائه.

إن المصدر الرئيسي الآخر لثروة الشركات يأتي من بنوكها العقارية. في جميع أنحاء العالم، ساعدت حكومات محلية ضعيفة وفسادة سيطرة وول ستريت، وشركات الأعمال الزراعية، ومليارديريي الصين على تجميع مساحات شاسعة من الأراضي. (يستدعي هذا بالطبع الاستيلاء على المياه أيضاً). يجري الاستحواذ على أراضي ملايين الناس في الهند وتسليمها إلى الشركات الخاصة "للمصلحة العامة" - مناطق اقتصادية خاصة، ومشاريع البنى التحتية، والسدود، والطرق السريعة، وتصنيع السيارات، والمراكز الكيميائية، وسباقات الفورمولا ١ (لا تنطبق حرمة الملكية الخاصة على الفقراء مطلقاً). يُوعَد السكان المحليون، كما هو الحال دائماً، بأن تهجيرهم من أراضيهم ومصادرة كل ما يملكون هو في واقع الأمر جزء من خلق فرص التوظيف. لكننا نعلم إلى الآن أن العلاقة بين نمو الناتج المحلي الإجمالي والوظائف هي خرافة. بعد عشرين عاماً من "النمو"، يعمل ستون

في المئة من القوى العاملة في الهند لحسابهم الخاص، ويعمل تسعون في المئة من القوى العاملة في الهند في القطاع غير المنظم.^{١١}

إنّ الحركات الشعبية في فترة ما بعد الاستقلال، حتى الثمانينيات من القرن الماضي، بدءاً من العصيان الناكسالي حتى الثورة الكبرى (سامبورنا كرانتي) التي قام بها جايابراكاش نارايان، كانت تكافح من أجل إصلاحات الأراضي، وإعادة توزيع الأراضي من الملاك الإقطاعيين إلى الفلاحين غير الملاك. إنّ أيّ حديث عن إعادة توزيع الأرض أو الثروة اليوم لا يُعدّ غير ديمقراطي وحسب بل مُحقّقاً أيضاً. حتى إنّ أكثر الحركات المسلحة تحولت إلى كفاح من أجل التمسك بالأراضي الصغيرة التي لا يزال الناس يملكونها. إنّ ملايين الأشخاص الذين لا يملكون أرضاً، والذين طُردوا من قراهم، ومعظمهم من المنبوذين والقبائل الأصلية، يعيشون في الأحياء الفقيرة والعشوائيات في البلدات الصغيرة والمدن الكبرى، لا يظهرون حتى في الخطاب الراديكالي.

بينما تقوم نظرية التدفق بتركيز الثروة على طرف دبوس لامع يتمحور فيه المليارديريون، تجري خسارة كميات هائلة من المال في المؤسسات الديمقراطية - المحاكم والبرلمان - إضافة إلى الإعلام، مما يُعرض قدرتها على العمل بالطرق التي من المفترض أن تعمل بها للخطر. كلما ازداد صخب المهرجان حول الانتخابات، تناقصت ثقفتنا بوجود الديمقراطية فعلاً.

إنّ كلّ فضيحة فساد جديدة تظهر في الهند تجعل الأخيرة تبدو وكأنّها فضيحة وديعة. في صيف ٢٠١١ انفجرت فضيحة نطاق اتصالات G٢.

علمنا أنّ الشركات قد اختلست ٤٠ مليار دولار من الأموال العامة من خلال تنصيب شخصية ودیعة كوزیر للاتصالات والمعلومات الذي قلل على نحو كبير من قيمة تراخيص نطاق اتصالات G ٢ وباعها بصورة غير قانونية إلى رفاقه. وأظهرت المحادثات الهاتفية المسجلة التي سُربت للصحافة مدى تورط شبكة من الصناعيين وشركاتهم الوهمية، ووزراء، وكبار الصحفيين ومقدم تلفزيوني في تسهيل هذه السرقة في وضح النهار. كانت الأشرطة مجرد تصوير رنين مغناطيسي أكد التشخيص الذي قام به الناس منذ فترة طويلة.

إنّ خصخصة نطاق الاتصالات وبيعها غير القانوني لا ينطوي على حرب، وتهجير، ودمار بيئي وحسب، بل خصخصة جبال الهند، وأنهارها، وغاباتها. ربما لأنها ليست واضحة كوضوح فضيحة محاسبية واضحة كلياً وغير معقدة، أو ربما لأنّ ذلك كله يتم تحت ما يُسمى "تقدم" الهند، الذي لا يجد الصدى نفسه عند الطبقات الوسطى.

في عام ٢٠٠٥، وقعت حكومات ولايات تشاتيسجاره، وأوريسا، وجهارخاند مئات مذكرات التفاهم مع عدد من الشركات الخاصة، وسلمت تريليونات الدولارات من خام البوكسيت والحديد، والمعادن الأخرى مقابل مبلغ زهيد، متحدية حتى منطق السوق الحرة المعوّج. (تراوحت نسبة عائدات الحكومة بين ٠.٥ في المئة و٧ في المئة).^{١٢}

بعد أيام فقط من توقيع حكومة تشهاتيسجاره على مذكرة تفاهم لبناء مصنع صلب متكامل في باستار مع شركة تاتا ستيل، مما أدى إلى تأسيس حركة سلوى جودوم، وهي ميليشيا حراسة. وقالت الحكومة إنّها كانت

انتفاضة عفوية للسكان المحليين الذين سُموا من "القمع" الذي يقوم به المتمردون الماويون في الغابة. اتضح أنّها عملية إخلاء الأراضي، تمولها وتسليحها الحكومة مدعومة من شركات التعدين. أنشئت ميليشيات مماثلة بأسماء أخرى في الولايات الأخرى. أعلن رئيس الوزراء أنّ الماويين هم "التحدي الأمني الأكبر والأوحد في الهند". كان إعلاناً للحرب.^{١٣}

وصلت عشر فصائل من الشرطة إلى موقع مصنع آخر تابع لشركة تاتا للصلب، في الثاني من شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٦، في كالينجاناجار، في الولاية المجاورة لولاية أوريسا، ربما للإشارة إلى جدية نوايا الحكومة، وفتحت النار على القرويين الذين تجمعوا هناك للاحتجاج على ما شعروا أنّهم تعويض غير مناسب عن أراضيهم. قُتل ثلاثة عشر شخصاً، من بينهم شرطي وجرح سبعة وثلاثون آخرون.^{١٤} قد مرت ست سنوات، ولم يمت الاحتجاج على الرغم من أنّ القرى لا تزال تحت حصار رجال الشرطة المسلحين.

في هذه الأثناء في تشهاتيسجاره، قامت حركة سلوى جودوم في طريقها عبر مئات من قرى الغابات بالحرق والنهب والقتل، وقد أخلت ستمئة قرية، وأجبرت خمسين ألف شخص على الخروج إلى معسكرات الشرطة، وتسببت في فرار ثلاثمئة وستين ألف شخص.^{١٥} أعلن رئيس الوزراء أنّ أولئك الذين لم يخرجوا من الغابات سوف يُعدّون "ماويين إرهابيين". بهذه الطريقة، أصبحت حراثة الحقول وبذر البذور في أجزاء من الهند الحديثة، تُعرّف على أنّها نشاط إرهابي. في النهاية، نجحت فئات حركة سلوى جودوم فقط في ترسيخ المقاومة وازدياد صفوف جيش حرب

العصابات الماوي. أعلنت الحكومة، في عام ٢٠٠٩، ما أسمته عملية المطاردة الخضراء. نُشر مئتا ألف عنصر من القوات شبه العسكرية عبر تشهاتيسجاره وأوريسا وجهارخاند والبنغال الغربية.^{١٦}

بعد ثلاث سنوات من "النزاع منخفض الحدة" الذي لم ينجح في "طرده" المتمردين من الغابة، لقد أعلنت الحكومة المركزية أنها سوف تشر الجيش الهندي والقوات الجوية.^{١٧} لا نسمي هذه حرباً في الهند. نحن نسميها "خلق مناخ استثمار جيد". لقد انتقل آلاف الجنود بالفعل إلى هناك. جُهزت مقرات ألوية وقواعد جوية. ويُعدّ أحد أكبر الجيوش في العالم الآن شروط الاشتباك الخاصة به "للدفاع" عن نفسه ضد أفقر الناس وأكثرهم جوعاً وأسوأهم تغذية في العالم. إننا ننتظر فقط إعلان قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة (AFSPA)، الذي سيمنح الجيش الإفلات من العقاب القانوني والحق في القتل "عند الاشتباه". عند المرور بعشرات الآلاف من القبور التي لا تحمل شواهد ومحارق الإحراق التي لا تحمل اسماً في كشمير، ومانيبور، وناغالاند، تطلق الحكم على أنّ هذا الجيش كان بالفعل جيشاً متشككاً جداً.^{١٨}

بينما تجري الاستعدادات للانتشار، تبقى أدغال وسط الهند ترزح تحت الحصار بقرويين خائفين من الخروج أو الذهاب إلى السوق للحصول على طعام أو دواء. زُجّ مئات الأشخاص في السجن، ووجهت إليهم تهمة الانضمام إلى الماويين في ظل قوانين متشددة وغير ديمقراطية. ازدحمت السجون بالسكان الأصليين، وأشخاص كثر ممن لا فكرة لديهم عما هو جرمهم. أُلقي القبض مؤخراً على سوني سوري، وهي معلمة مدرسة من

السكان الأصليين من باستار، وتعرضت للتعذيب في حجز الشرطة. كانوا يدفعون الحصى إلى داخل مهبلها لحملها على "الاعتراف" بأنها مرسال للماويين. أُزيلت الحجارة من جسمها في مستشفى في كلكتا، حيث أرسلت، بعد احتجاج عام، لتلقي الفحص الطبي. في جلسة الاستماع الأخيرة في المحكمة العليا، قدم نشطاء الحصى في كيس بلاستيكي للقضاة. كانت النتيجة الوحيدة لجهودهم هي أن تبقى سوني سوري في السجن، بينما مُنح أنكيت جارج، مدير الشرطة الذي أجرى الاستجواب، وسام الرئيس الشرطي للبسالة في يوم عيد الجمهورية.^{١٩}

نسمع عن إعادة الهندسة البيئية والاجتماعية لوسط الهند فقط بسبب التمرد الجماعي والحرب. لا تُصرح الحكومة بأيّ معلومات. فجميع مذكرات التفاهم سرية. لقد بذلت بعض أقسام وسائل الإعلام ما في وسعها للفت انتباه الشعب إلى ما يحدث في وسط الهند. على الرغم من ذلك، فإنّ ما جعل معظم وسائل الإعلام الهندية عرضة للخطر هو حقيقة أنّ الحصة الرئيسية من إيراداتها تأتي من الإعلانات التجارية للشركات. إذا لم يكن ذلك سيئاً بما يكفي، فالحد الفاصل بين وسائل الإعلام والأعمال التجارية الكبيرة بدأ في التشويش بصورة خطيرة. كما رأينا، تمتلك شركة رليانس للصناعات المحدودة فعلياً سبعاً وعشرين قناة تلفزيونية. إلا أنّ العكس صحيح أيضاً. تمتلك بعض دور الإعلام الآن أعمال بيع مباشر ومصالح شركات. تمتلك إحدى الصحف اليومية الرئيسية في المنطقة - صحيفة دانيك باسكار على سبيل المثال، وهي مجرد مثال واحد - ١٧,٥ مليون قارئ بأربع لغات، بما في ذلك الإنجليزية والهندية، في أنحاء ثلاث

عشرة ولاية. كما تمتلك تسعاً وستين شركة ذات اهتمام في التعدين، وتوليد الطاقة، والعقارات، والنسيج. جرى تقديم التماس أمر قضائي حديث إلى محكمة تشهاتيسجاره العليا يتهم شركة DB Power Ltd (إحدى شركات المجموعة) باستخدام "إجراءات قانونية متعمدة ومخادعة" من خلال صحف مالكة للشركة للتأثير على نتائج جلسة الاستماع العامة بشأن منجم فحم سطحي.^{٢٠} إن الأمر لا علاقة له فيما إذا حاولت التأثير على النتيجة أم لا. إن المغزى المهم هو أن دور الإعلام في وضع يُمكنها من القيام بذلك. ويمتلكون القوة للقيام بذلك. كما تسمح لهم القوانين على أرض الواقع بأن يكونوا في وضع يُحولهم أن يكونوا في موقع جيد عندما يكون هناك تضارب خطير في المصالح.

هناك أجزاء أخرى من البلاد لا تأتي أخبار منها. في الولاية الشمالية الشرقية العسكرية ذات الكثافة السكانية المنخفضة ولكن ذات الطابع العسكري في ولاية أروناتشال براديش، يجري إنشاء مئة وثمان وستين سداً كبيراً، معظمها ذات ملكية خاصة.^{٢١} لقد شُيدت أغلب السدود العالية التي ستغرق أقاليم بأكملها في إقليم مانيبور وكشمير، كلاهما ولاية ذات طابع عسكري بدرجة عالية حيث يمكن قتل الناس لمجرد الاحتجاج على انقطاع التيار الكهربائي. (حدث هذا قبل أسابيع قليلة في كشمير).^{٢٢} كيف لهم أن يتمكنوا من إيقاف سد؟

إن سد كالباسار في ولاية غوجارات هو أكثر السدود تضليلاً. كان من المخطط له أن يكون سداً بطول أربعة وثلاثين كم عبر خليج خامبات مع طريق سريع بعرض عشر حارات ويجري من أعلاه خط للسكك

الحديدية. إنَّ الهدف هو إبعاد مياه البحر وإنشاء خزان للمياه العذبة من أنهار غوجارات. (لا يهم إن بُني لهذه الأنهار سدٌّ جعل منها جدولاً هزياً أو سُممت بمخلفات كيميائية سائلة). إنَّ سد كالباسار، الذي من شأنه أن يرفع مستوى سطح البحر، ويغير البيئة في مئات الكيلومترات من الساحل، كان سبباً في المخاوف الجسيمة عند العلماء في تقرير عام ٢٠٠٧. ٣٣ لقد تسبب في عودة مفاجئة لتزويد منطقة دوليرا سيشال للاستثمار (SIR) بالمياه في واحدة من أكثر المناطق التي تعاني الإجهاد المائي ليس في الهند وحسب بل في العالم. إنَّ تسمية (SIR) هي تسمية أخرى للمناطق الاقتصادية الخاصة، التي تمثل الواقع المرير للشركات ذات الحكم الذاتي للمجمعات الصناعية والبلدات، والمدن الكبرى. وستكون منطقة دوليرا سيشال الصناعية متصلة بمدن ولاية غوجارات الأخرى عن طريق شبكة من الطرق السريعة ذات الحارات العشر. من أين سيأتي المال لكل هذا؟

في كانون الثاني من العام ٢٠١١ في مركز المهاتما (غاندي) ماندير للمؤتمرات، ترأس رئيس وزراء غوجارات ناريندرا مودي اجتماعاً ضم عشرة آلاف رجل أعمال دولي من مئة دولة. ووفقاً لتقارير إعلامية، فقد تعهدوا باستثمار أربعمئة وخمسين مليار دولار في ولاية غوجارات. وكان من المتعمد إقرار عقد الاجتماع في يوم الذكرى العاشرة لمذبحة ألفي مسلم في شباط من عام ٢٠٠٢. لقد أُدين مودي ليس فقط بالتغاضي عن القتل، بل بالتحريض بفاعلية عليه. إنَّ الأشخاص الذين شاهدوا أحياءهم يتعرضون للاغتصاب والسلب والحرق وهم أحياء، وعشرات الآلاف ممن طُردوا من منازلهم، لا زالوا ينتظرون خطوة نحو العدالة. بيد أنَّ

مودي الذي استبدل وشاحه الزعفراني والعلامة البرتقالية على جبينه ببدلة عمل أنيقة، ويأمل أن ينفع استثمار أربعمئة وخمسين مليار دولار في أن يكونوا بمنزلة دية وسداد ديون.^{٢٤} ربما سينفون في ذلك. إن شركة النشاطات التجارية تدعمه بحماس. يعمل كتاب جبر العدالة اللانهائية بطرق غامضة.

إن شركة دوليرا سبيشال ما هي سوى واحدة من أصغر دمي ماتريوشكا، الشركات الكبرى، إحدى الدمي الداخلية في الواقع المرير الذي يجري التخطيط له. سيجري ربطه بالممر الصناعي في دهي ومومباي (DMIC)، وهو ممر بطول ١٥٠٠ كم وعرض ٣٠٠ كم مع تسع مناطق صناعية ضخمة، وخط شحن عالي السرعة، وثلاثة موانئ بحرية، وستة مطارات، وطريق سريع من ست حارات دون أي تقاطعات، و محطة توليد للكهرباء بقوة ٤٠٠٠-ميغا واط. إن الممر الصناعي في دهي ومومباي هو مشروع تعاوني بين حكومتي الهند واليابان، ومؤسساتها الشريكة المعنية، وقد اقترحه مركز ماكينزي العالمي للأبحاث.

يقول موقع الممر الصناعي في دهي ومومباي إن ما يقرب من مئة وثمانين مليون شخص سوف "يتأثرون" بالمشروع.^{٢٥} ولم يقولوا كيف سيتأثرون بالضبط. إنه يعتزم بناء عدة مدن جديدة، ويُقدر أن يتزايد عدد السكان في المنطقة من مائتين وواحد وثلاثين مليون نسمة حالياً إلى ثلاثمئة وأربعة عشر مليوناً بحلول عام ٢٠١٩. ذاك في غضون سبع سنوات. متى كانت المرة الأخيرة التي قامت فيها دولة، أو طاغية، أو دكتاتور بنقل ملايين السكان؟ هل من الممكن أن تكون عملية سلمية؟

قد يحتاج الجيش الهندي لمواصلة حملة تجنيد بحيث لا يباغت على حين غرة عندما تصدر الأوامر له بالانتشار في جميع أنحاء الهند. أصدر مبادئه المُحدّثة للعمليات النفسية العسكرية علناً استعداداً لدوره في وسط الهند، وكانت تحت عنوان: "عملية مخطط لها لإيصال رسالة إلى مجموعة منتقاة من الجمهور المستهدف، للترويج لمواضيع معينة تؤدي إلى سلوكيات ومواقف مرغوبة تؤثر في تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية للبلد". إنَّ عملية "صياغة الإدراك" تلك، كما قالت، سوف تُجرى من خلال "استخدام وسائل الإعلام المتاحة للخدمة العسكرية".^{٢٦}

يتمتع الجيش بالخبرة الكافية كي يعرف أن القوة القسرية وحدها لا تستطيع أن تنفذ أو تدير الهندسة الاجتماعية وفق المقياس الذي يتصوره مخطوطو الهند. إنَّ الحرب على الفقراء شيء. إلاَّ أنَّها يجب أن تكون "صياغة الإدراك" بالنسبة إلى بقيتنا -نحن الطبقة الوسطى والعاملين والإداريين والمتقنين و "صناع الرأي". لذلك يجب أن نوجه انتباهنا إلى فن عمل الشركات الخيري الرائع.

قامت تكتلات التعدين الرئيسية في الآونة الأخيرة بتبني الفنون - السينما، والتجهيزات الفنية والإسراع بالمهرجانات الأدبية التي استبدلت بها هوس التسعينيات بمسابقات الجمال. إنَّ شركة فيدانتا المحدودة للتعددين، التي تنقّب عن البوكسيت بجدّ في مواطن قبيلة دانغاريا كاند القديمة، هي الشركة الراحية لمسابقة فيلم "خلق السعادة" لطلاب السينما الشباب الذين كلفتهم صنع أفلام عن التنمية المستدامة. شعار شركة فيدانتا هو "استخراج السعادة". تصدر مجموعة جيندال مجلة عن الفن المعاصر، وتدعم بعض

كبار الفنانين في الهند (الذين يعملون بالطبع في الفولاذ المقاوم للصدأ) . كانت شركة إيسار الشركة الراحية الرئيسية لمهرجان مجلة Tehelka Newsweek Think الذي وعد بـ "نقاشات مرتفعة الأوكتان" لأبرز المفكرين من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك كبار الكتّاب، والنشطاء، وحتى المهندس المعماري فرانك جيري.^{٢٧} (كلّ هذا في ولاية غوا، حيث كان النشطاء والصحفيون يكشفون عن فضائح تعدين هائلة وغير قانونية، ودور شركة إيسار في الحرب الدائرة في باستار والتي كانت آخذة في النمو). إنّ شركتي تاتا ستيل وريو تيتو (التي تمتلكان سجلاً دنيئاً حافلاً)^{٢٨} من بين الراحات الرئيسيين لمهرجان جايبور الأدبي (الاسم اللاتيني: مهرجان جايبور الأدبي لشركة دارشان سينغ للتعدين)، الذي أعلنه الخبراء على أنّه "أعظم عرض أدبي على وجه الأرض". رعى "مدير العلامة التجارية الإستراتيجي" في وكالة التسويق في شركة تاتا خيمة صحافة المهرجان. اجتمع كثير من أفضل الكتاب وأمعهم في العالم في جايبور لمناقشة الحب والأدب والسياسة والشعر الصوفي، حاول البعض الدفاع عن حق سلمان رشدي في حرية التعبير من خلال قراءة كتابه المحظور "آيات شيطانية". كان يظهر خلف كلّ إطار تلفزيوني وصورة في الصحافة شعار لشركة تاتا للمعادن، (وعبارته الترويجية: إنّ القيم أقوى من الحديد الصلب) كمضيف رقيق وكريم. كان من الممكن لأعداء حرية التعبير، الذين يُفترض أنهم مسلمون قتلة غوغائيون، كما أخبرنا منظمو المهرجان، أن يؤذوا تلاميذ المدارس المتجمعين هناك. (إنّنا نشهد كيف أنّ الحكومة الهندية والشرطة لا حول لها ولا قوة عندما يتعلق الأمر بالمسلمين). نعم،

احتجّت جامعة دار العلوم ديوبند الإسلامية المتشددة على القيام بدعوة رشدي إلى المهرجان. نعم، تجمّع بعض الإسلاميين في مكان المهرجان للاحتجاج، ونعم، وعلى نحو صارخ، لم تفعل حكومة الولاية شيئاً لحماية المكان. ذلك لأنّ موضوع الحلقة بأكملها مرتبط بالديمقراطية، وجماعة الناخبين، وانتخابات ولاية أتر براديش مثلما فعلت مع الأصولية الإسلامية. بيد أنّ معركة حرية التعبير ضد الأصولية الإسلامية وصلت إلى صحف العالم. إنّ ما قامت به هو أمر مهمّ، ولكن لم تكد ترد أيّ تقارير عن دور رعاة المهرجان في الحرب الدائرة في الغابات، والجثث المتراكمة، وامتلاء السجون، أو عن قانون منع الأنشطة غير القانونية وقانون تشهاتيسجاره للأمن العام الخاص، مما يجعل حتى التفكير في فكرة مناهضة الحكومة من الجرائم المنصوص عليها، أو عن جلسة الاستماع العامة الإلزامية لمعمل تاتا للصلب في لوهاندي غوده، الذي اشتكى منه السكان المحليون بالفعل من على بعد مئات الأميال في جاغدابور، في مجمع مكاتب الجبابة، تحت حراسة مسلحة بحضور خمسين شخصاً مُستأجراً^{٢٩}. أين كانت حرية التعبير آنذاك؟ لم يذكر أحد كالينجاناجار. لم يذكر أحد شيئاً عن رفض منح التأشيرات أو ترحيل مباشر من المطار للصحفيين والأكاديميين وصانعي الأفلام الذين يعملون في مواضيع لا تحظى بشعبية لدى الحكومة الهندية - مثل الدور الخفي الذي لعبته في الإبادة الجماعية للتاميل في الحرب في سريلانكا، أو القبور مجهولة الهوية التي اكتشفت مؤخراً في كشمير^{٣٠}.

ولكن من منا نحن الخطأة كان سيلقي بالحجر الأول؟ لست أنا، تلك التي تعيش على عائدات من مؤسسات دور النشر. كلنا جميعاً نشاهد البث

الفضائي لشركة تاتا سكاي، وتنصفح الإنترنت بوساطة شركة تاتا فوتون، نركب في سيارات الأجرة التابعة لشركة تاتا، ونقيم في فنادق تاتا، ونحتسي شاي تاتا في تاتا بون الصين، ونحركه بملاعق صغيرة مصنوعة من تاتا ستيل. نشترى كتب تاتا في متاجر كتب تاتا. نأكل ملح تاتا. إننا نرزع تحت الحصار.

إذا كانت المبالغة في النقاء الأخلاقي هي المعيار للانتقاد، فالأشخاص الوحيدون المؤهلون لذلك إذن هم أولئك الذين أُسكتوا فعلياً. أولئك الذين يعيشون خارج النظام؛ الخارجون عن القانون في الغابات، أو أولئك الذين يحتجون ولا تغطي الصحافة احتجاجاتهم أبداً، أو النازحون ذوو الأخلاق الحسنة، الذين ينتقلون من محكمة إلى أخرى، للشهادة، والإدلاء بها.

إلا أنّ المهرجان الأدبي قد منحنا إدراك لحظة الحقيقة! جاءت أوبرا وينفري^{٣١} قالت إنها أحبت الهند، وإنها ستأتي مراراً وتكراراً. لقد جعلتنا نشعر بالفخر.

ما هذه سوى النهاية الهزلية للفن الرائع.

على الرغم من أنّ مجموعة تاتا قد شاركت في الأعمال الخيرية للشركات منذ ما يقارب مئة عام حتى الآن، ومنحت المنح الدراسية وتولّت إدارة بعض المعاهد والمستشفيات التعليمية المتميزة، لم تُدعّ الشركات الهندية إلى الانضمام إلى غرفة الملك إلا مؤخراً، تلك الغرفة التي كانت تسمى باللاتينية *Camera stellata*، وهي العالم البراق الشركات العالمية، المهلكة

لخصوصها ولكنها من ناحية أخرى ماهرة جداً إلى درجة أنك لا تكاد تعرف بوجودها.

قد يبدو ما يلي في هذا المقال للبعض نقداً لا دعماً إلى حد ما. إلا أنه من ناحية أخرى يمكن قراءته، من مبدأ تكريم خصوم المرء، على أنه اعتراف بالرؤية والمرونة والتطور والتصميم الراسخ لأولئك الذين كرسوا حياتهم للحفاظ على العالم كما كان آمناً للرأسمالية.

بدأ تاريخهم الفاتن، الذي تلاشى من الذاكرة المعاصرة، في الولايات المتحدة في أوائل القرن العشرين عندما جُهزت بصورة قانونية على هيئة مؤسسات ممنوحة، بدأ العمل الخيري للشركات ليحل محل النشاط التبشيري مثل دورية لدى الرأسمالية (والإمبريالية) تعمل على تمهيد الطريق

وصيانة الأنظمة.^{٣٣}

كان من بين المؤسسات الأولى التي أنشئت في الولايات المتحدة مؤسسة كارنيجي، الممنوحة عام ١٩١١ بأرباح من مؤسسة كارنيجي للصلب، ومؤسسة روكفلر الممنوحة عام ١٩١٤ من قبل جي دي روكفلر، مؤسس شركة ستاندرد أويل . مجموعتا تاتا وأمباني في ذلك الوقت.

إن من بين بعض المؤسسات التي مولتها مؤسسة روكفلر أو دعمتها أو منحتها الأموال الأولية، الأمم المتحدة ووكالة المخابرات المركزية ومجلس العلاقات الخارجية (CFR)، ومتحف نيويورك الأروع للفن الحديث، وبالطبع مركز روكفلر في نيويورك (حيث كان يجب أن تكون جدارية دييغو ريفيرا انتزعت عن الحائط لأنها صورت الفاسدين الرأسماليين ولينين الباسل على نحو مؤذٍ. لقد أخذت حرية التعبير يوم عطلة).

كان روكفلر أغنى ملياردير أمريكي وأغنى رجل في العالم. كان مؤيداً
لإلغاء العبودية، ومناصرّاً لأبراهام لنكولن، وممتنع عن شرب الكحوليات.
كان يعتقد أن ماله قد وهبه الله إياه، الذي طالما كان شيئاً جيداً له.^{٣٣}
فيما يلي بعض الآيات من إحدى أوائل قصائد بابلو نيرودا تُسمى
"شركة ستاندرد أويل":

"أباطرتهم البدينون من نيويورك

قتلة متبسمون دمشون

من يشترون الحرير والنايلون والسيجار

هم طغاة وديكتاتوريون تافهون.

يشترون البلدان، والناس، والبحار، والشرطة، ومجالس المقاطعات،

والمناطق البعيدة التي يُخزن الفقراء فيها الذرة

كما يُحبى البخلاء ذهبهم :

توظفهم ستاندرد أويل،

تلبسهم الزي الرسمي، تُحدد أيّ الأخوة هو العدو.

يخوض الباراغواي حربها، ويذوي البوليفي

في الأدغال بمدفعها الرشاش.

يجري اغتيال رئيس بسبب قطرة نפט،

ورهن مليون فدان،

وإعدام عاجل وموحش في صباح بشر فان مع نور

معسكر سجن جديد للمخربين،

طلقات متناثرة وخائنة في باتاغونيا،

تحت القمر البترولي، تغيير دقيق للوزراء

في العاصمة همسة

مثل مد نفطي، وانطلق، سوف ترى

كيف تلمع أحرف ستاندرد أويل فوق السحاب،

فوق البحار، وفي منزلك

تُجَمَّل مالكيها^٣

عندما ظهرت المؤسسات الممنوحة للشركات للمرة الأولى في الولايات المتحدة، كان هناك نقاش حاد حول المصدر والشرعية والافتقار إلى المساءلة. اقترح الناس أنه إذا ما كانت الشركات تمتلك الكثير من الأموال الفائضة، فيجب عليها رفع أجور عامليها. (قدّم الناس هذه الاقتراحات الصارخة في تلك الأيام، حتى في أمريكا). كانت فكرة هذه المؤسسات، التي تُعد فكرة عادية الآن، في الواقع قفزة في مخيلة الأعمال. هيئات قانونية دون دفع ضرائب بموارد ضخمة وصلاحيّة غير محدودة تقريباً - غير خاضعة للمساءلة وغير شفافة كلياً - ما هي أفضل طريقة لاستثمار ثروة اقتصادية في رأسمال سياسي واجتماعي، وثقافي، لتحويل المال إلى قوة؟ ما هي أفضل طريقة للمرابين لاستخدام نسبة ضئيلة من

أرباحهم لتشغيل العالم؟ وإلا فكيف سيجد بيل جيتس نفسه يُخطط للتعليم والصحة، والسياسات الزراعية، ليس فقط لحكومة الولايات المتحدة بل لحكومات العالم أجمع^{٣٥}، وهو الذي يعرف شيئاً أو شيئين عن الحاسوب باعتراف الجميع؟

في الوقت الذي شهد فيه الناس بعض الأعمال الجيدة بحق وقامت بها المؤسسات على مر السنين (كإدارة مكتبات عامة، واستئصال أمراض) - أصبحت العلاقة المباشرة بين الشركات والمؤسسات التي منحتها باهتة. وتلاشت كلياً في نهاية المطاف. الآن، حتى أولئك الذين يعدّون أنفسهم يساريين لا يخجلون من قبول هباتهم.

بحلول العشرينيات من القرن الماضي، بدأت الرأسمالية الأمريكية في التطلع إلى المواد الخام والأسواق الخارجية، بدأت المؤسسات بتشكيل فكرة حوكمة الشركات العالمية. في عام ١٩٢٤ أنشأت مؤسساً روكفلر وكارنيجي معاً ما يُعرف اليوم بأقوى مجموعة ضغط للسياسة الخارجية في العالم - مجلس العلاقات الخارجية (CFR)، الذي أصبحت تمويله فيما بعد مؤسسة فورد أيضاً. بحلول عام ١٩٤٧ كانت وكالة المخابرات المركزية التي أنشئت حديثاً ودعمها وعمل معها مجلس العلاقات الخارجية بشكل وثيق. على مر السنين، تضمنت عضوية مجلس العلاقات الخارجية اثنين وعشرين وزير دولة من الولايات المتحدة. كان هناك خمسة أعضاء من مجلس العلاقات الخارجية في اللجنة التوجيهية التي خططت لإنشاء الأمم المتحدة في عام ١٩٤٣، وتم شراء الأرض التي هي مقر الأمم المتحدة بنيويورك بمنحة بمقدار ٨,٥ مليون دولار مقدمة من جون دافيسون روكفلر^{٣٦}.

كان جميع رؤساء البنك الدولي الأحد عشر منذ عام ١٩٤٦ -الرجال الذين قدموا أنفسهم للفقراء على أنهم مبشرون -أعضاء في مجلس العلاقات الخارجية (باستثناء جورج وودز، وقد كان أحد أمناء مؤسسة روكفلر ونائب الرئيس بنك تشيس مانهاتن)^{٣٧}.

في اتفاقية بريتون وودز، قرر البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن العملة الاحتياطية في العالم يجب أن تكون هي الدولار الأمريكي، وأنه من أجل تعزيز التغلغل في رأس المال العالمي سيكون من الضروري تعميم وتوحيد ممارسات الأعمال التجارية في سوق مفتوح^{٣٨}. من أجل تلك الغاية ينفقون مبلغاً كبيراً من المال للترويج للحكم الرشيد (طالما يسيطرون على مقاليد الأمور)، مفهوم سيادة القانون (شريطة أن يكون لها دور في سن القوانين)، ومئات برامج مكافحة الفساد (لتنسيق النظام الذي وضعوه موضع التنفيذ). طالبت منظمتان من أكثر المنظمات غموضاً في العالم وغير الخاضعة للمساءلة الحكومات في الدول الفقيرة بالشفافية والمساءلة.

بالنظر إلى أن البنك الدولي وجه بشكل أو بآخر سياسات العالم الثالث الاقتصادية، وأجبر الأسواق في بلد وراء آخر على الانفتاح على التمويل العالمي، يمكنك القول: إن العمل الخيري للشركات أصبح العمل ذا الرؤية المستقبلية في كل العصور.

تدير المؤسسات المملوكة للشركات الأعمال التجارية، وتوجه قوتها، وتضع قطع الشطرنج الخاصة بها على رقعة الشطرنج من خلال نظام نوادي النخبة والمراكز الفكرية، التي يتشابك أعضاؤها، ويدخلون ويخرجون من خلال الأبواب الدوارة. خلافاً لنظريات المؤامرة المتنوعة المتداولة بين

مجموعات اليساريين على وجه الخصوص، لا يوجد ما هو سري أو شيطاني أو ما يشبه التحرر من الماسوني في مثل هذا الترتيب. فهو لا يختلف كثيراً عن طريقة استخدام الشركات لشركات وهمية وحسابات خارجية لتحويل أموالهم وإدارتها - باستثناء أنّ القوة تتمثل في العملة وليس في المال.

إنّ نظير - مجلس العلاقات الخارجية خارج حدود الوطن هو اللجنة الثلاثية، التي شكّلها ديفيد روكفلر، ومستشار الأمن القومي الأمريكي السابق عام ١٩٧٣ Zbigniew Brzezinski (العضو المؤسس في حركة المجاهدين الأفغانية، أسلاف طالبان)، ومصرف تشيس مانهاتن، وبعض الشخصيات الخاصة الأخرى. كانت الغاية منه هي إيجاد رابطة دائمة من الصداقة والتعاون بين النخبة في أمريكا الشمالية وأوروبا واليابان. لقد أصبحت الآن مهمة خماسية، لأنّها تشمل أعضاء من الصين والهند (تارون داس من معهد تشارترد للتأمين، إن آر نارايانا مورثي، الرئيس التنفيذي السابق لشركة انفوسيس؛ جامشيد غودريج، العضو المنتدب غودريج، جامشيد جيغي إيراني، مدير مجموعة تاتا سنز، وغوتام ثابار، الرئيس التنفيذي لمجموعة أفانثا)^{٣٩}.

إنّ معهد آسبن هو نادٍ دولي للنخبة المحلية، ورجال الأعمال، وبيروقراطيين، وسياسيين، مع امتيازات في دول عدة، وكان تارون داس يشغل منصب رئيس معهد آسبن في الهند. وشغل منصب رئيس مجلس الإدارة غوتام ثابار. كان العديد من كبار ضباط معهد ماكينزي العالمي (مقدموا اقتراح الممر الصناعي في مدينة دلهي مومباي) هم أعضاء في مجلس العلاقات الخارجية، والمفوضية الثلاثية، ومعهد آسبن.^{٤٠}

تأسست مؤسسة فورد عام ١٩٣٦ (التغطية الليبرالية لمؤسسة روكفلر المحافظة بشكل أكبر، على الرغم من أنّ المؤسستين تعملان معاً باستمرار). على الرغم من التقليل من شأن مؤسسة فورد في كثير من الأحيان، فإنها تمتلك أيديولوجية واضحة ومحددة على نحو جيد، وتعمل عن كثب مع وزارة الخارجية الأمريكية. إنّ مشروعها في تعميق الديمقراطية و "الحكم الرشيد" هو جزء كبير جداً من مخطط بريتون وودز لتوحيد ممارسات الأعمال التجارية والترويج للكفاءة في السوق الحرة. بعد الحرب العالمية الثانية، عندما حلّ الشيوعيون محلّ الفاشيين بصفقتهم العدو الأول لحكومة الولايات المتحدة، كان هناك حاجة إلى أنواع جديدة من المؤسسات للتصدي للحرب الباردة. مولت مؤسسة فورد مؤسسة راند (شركة البحث والتطوير)، وهي مؤسسة فكرية عسكرية بدأت بأبحاث الأسلحة لخدمات الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية. أنشأ صندوق الجمهورية في عام ١٩٥٢، لإحباط "الجهد الشيوعي الملحّ لاختراق وتعطيل الأمم الحرة"، الذي تحول فيما بعد إلى مركز دراسة المؤسسات الديمقراطية، والذي كان من توجيهاته شن الحرب الباردة بذكاء، دون تجاوزات حركة مكارثيت^١. من خلال هذا المنظور، نحتاج إلى عرض العمل الذي تقوم مؤسسة فورد بعمله بملايين الدولارات التي استثمرتها في الهند - إنها تموّل الفنانين، وصانعي الأفلام، والنشطاء، الوقف السخي للمقررات الجامعية والمنح الدراسية.

أعلنت مؤسسة فورد أنّ "الأهداف لمستقبل البشرية" تشمل التدخلات في الحركات السياسية الشعبية محلياً ودولياً. قدمت الملايين

من المنح والقروض في الولايات المتحدة لدعم حركة الاتحاد الائتماني التي كان إدوارد فيلين رائداً لها، وكان مالكاً لمتجر، في عام ١٩١٩. آمن فيلين بخلق مجتمع الاستهلاك الشامل لمستهلكي السلع من خلال منح العمال إمكانية الحصول على الائتمان بأسعار معقولة - كانت فكرة جذرية في ذلك الوقت. كانت في الواقع مجرد نصف فكرة جذرية، لأنّ النصف الآخر الذي آمن به فيلين كان توزيعاً أكثر إنصافاً للدخل القومي. استولى الرأسماليون على النصف الأول من اقتراح فيلين، ومن خلال صرف قروض "ميسورة" بعشرات الملايين من الدولارات للعمال، تحولت الطبقة العاملة الأمريكية إلى أشخاص مدينين على نحو دائم، يسعون لتلبية متطلبات الحياة^{٤٢}.

انتقلت هذه الفكرة، بعد سنوات عديدة، إلى فقراء ريف بنجلاديش عندما جلب محمد يونس ومصرف غرامين للفلاحين الجائعين الائتمان الصغير ذا العواقب الكارثية. لطالما عاش فقراء شبه القارة الهندية في الديون، في قبضة مرابي القرية المحليين التي لا ترحم - بانيا (التجار). بيد أنّ التمويل الصغير جعل ذلك مؤسساتياً أيضاً. إنّ شركات التمويل الأصغر في الهند مسؤولة عن مئات حالات الانتحار - انتحر مئتا شخص في ولاية إندرا براديش في عام ٢٠١٠ فقط. نشرت صحيفة يومية مؤخراً مذكرة انتحار لفتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً أُجبرت على تسليم آخر ١٥٠ روبية لها، مصروفاتها المدرسية، لموظفي شركة التمويل الأصغر المتنمرين. تقول المذكرة: "اعمل بجِد وَاكسب المال. لا تأخذ قروضاً"^{٤٣}.

ثمة أموال كثيرة في الفقر، وبعض جوائز نوبل أيضاً.

بحلول الخمسينيات من القرن الماضي، بدأت مؤسستا روكفلر وفورد اللتان مولتا الكثير من المنظمات غير الحكومية والمؤسسات التعليمية الدولية، عملان وكأنهما شبه امتداد للحكومة الأمريكية، التي كانت تطيح بحكومات منتخبة ديمقراطياً في أمريكا اللاتينية وإيران وإندونيسيا في ذلك الوقت. (كان ذلك الوقت أيضاً قريباً من الوقت الذي دخلت فيه إلى الهند، ثم عدم انحيازها ولكن ميلها الواضح نحو الاتحاد السوفيتي). أسست مؤسسة فورد مقرر الاقتصاد المشابه للنموذج الأمريكي في الجامعة الإندونيسية. لعب نخبة من الطلاب الإندونيسيين الذين تدربوا على أيدي ضباط الجيش الأمريكي على مكافحة التمرد، دوراً حاسماً في الانقلاب المدعوم من وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٦٥ في إندونيسيا الذي أوصل الجنرال سوهارتو إلى السلطة. وجّه مرشديه إلى ذبح مئات الآلاف من مناهضيه الشيوعيين^{٤٤}.

بعد عشرين عاماً، جرى نقل الطلاب التشيليين الشباب، الذين أصبحوا يُعرفون بما يُسمى شيكاغو بويز، إلى الولايات المتحدة ليُجري تدريبهم على الاقتصاد النيوليبرالي على يد ميلتون فريدمان في جامعة شيكاغو (الممنوحة من قبل جون دافيسون روكفلر)، تحضيراً للانقلاب المدعوم من وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٧٣ الذي قُتل فيه سلفادور أليندي، وحضر الجنرال بينوشيه وعهد فرق الموت والاختفاءات، والرعب الذي استمر سبعة عشر عاماً^{٤٥}. كانت جريمة أليندي أنه كان اشتراكياً منتخباً بصورة ديمقراطية وأنه أمم مناجم تشيلي.

أنشأت مؤسسة روكفلر في عام ١٩٥٧ جائزة "رامون ماجساياسي" لقادة المجتمع في آسيا. سُمي بذلك تيمناً بـرامون ماجساياسي، رئيس

الفلين، الحليف الأساسي في الحملة الأمريكية ضد الشيوعية في جنوب شرق آسيا. أنشأت مؤسسة فورد في عام ٢٠٠٠ جائزة رامون ماجساياسي للقيادة البارزة. تُعدّ جائزة ماجساياسي جائزة مرموقة بين الفنانين والنشطاء والعاملين في المجتمع في الهند. فازت بها مادوراي شانموخادبفو سوبولاكشمي وساتياجيت راي، وكذلك حازها جايابراكاش نارايان وأحد أفضل الصحفيين في الهند، بالاغومي سايناث، ولكنهم قدموا لجائزة ماجساياسي أكثر مما قدمت لهم. عموماً، فقد أصبح نوع النشاط "المقبول" وما هو غير ذلك هو الحكم الفيصل.^{٤٦}

من المثير للاهتمام، أنّ حركة مكافحة الفساد التي قادها أنا هازار في الصيف الماضي كانت بقيادة ثلاثة من الفائزين بجائزة ماجساياسي - أنا هازار، وآرفيند كيجريوال، وكيران بيدي. كانت إحدى منظمات آرفيند كيجريوال غير الحكومية العديدة مُموّلة بسخاء من قبل مؤسسة فورد. كما يمولّ مصرف ليان براذرز وشركة كوكا كولا منظمة كيران بيدي غير الحكومية.

على الرغم من أنّ أنا هازار يعتبر نفسه من أتباع غاندي، كان القانون الذي دعا إليه - مشروع قانون جان لوكبال - منافياً لقوانين غاندي، ونخبوياً، وخطيراً. تدّعي الحملة الإعلامية للشركات على مدار الساعة أنّه يُمثل صوت "الشعب". على النقيض من حركة احتلوا وول ستريت في الولايات المتحدة، لم تنس حركة هازار ببنت شفة ضد الخصخصة أو سلطة الشركات أو "الإصلاحات" الاقتصادية. على العكس من ذلك، نجح الداعمون الإعلاميون الرئيسيون لها في تحويل دائرة الضوء عن فضائح

الفساد الهائل في الشركات (التي كشفت صحفيين رفيعي المستوى أيضاً)، واستخدمت الضربات العلنية للسياسيين للدعوة إلى مزيد من سحب السلطات التقديرية من الحكومة، وإلى مزيد من الإصلاحات، ومزيد من الخصخصة. أصدر البنك الدولي تقييماً عام ٢٠٠٧ من واشنطن قائلاً إنّ الحركة "تتوافق" مع إستراتيجيتها في "الحكم الرشيد"^{٤٧}. (تلقّى أنا هازار في عام ٢٠٠٨ جائزة المصرف الدولي للخدمة العامة المتميزة)^{٤٨}.

مثل جميع الإمبرياليين الأخيار، وضع المحسنون لأنفسهم مهمة إنشاء وتدريب كادر دولي يؤمن أنّ الرأسمالية، ومن ثمّ هيمنة الولايات المتحدة، كانت في مصلحتهم الشخصية. وإلاّ فمن الذي سيقدم يد العون في إدارة حكومة الشركات العالمية بالطرق التي طالما اتبعتها النخبة المحلية في خدمة الاستعمار. هكذا بدأ غزو المؤسسات للتعليم والفنون، الذي قد يصبح مجال تأثيرها الثالث، بعد السياسة الاقتصادية الخارجية والمحلية. لقد أنفقوا (وما زالوا ينفقون) ملايين الدولارات على المؤسسات الأكاديمية وعلم التربية.

تصف جوان رويلوفس، في كتابها الرائع "المؤسسات والسياسة العامة: قناع التعددية" *Foundations and Public Policy: The Mask of Pluralism*، كيف أعادت المؤسسات صياغة الأفكار القديمة حول كيفية تدريس العلوم السياسية واستحدثت تخصصات الدراسات "الدولية" ودراسة "المنطقة". وقد وفر هذا الأمر مجموعة من الخبرات في اللغات والثقافات الأجنبية لأجهزة الاستخبارات والأمن الأمريكية لتوظيفهم. تواصل وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية العمل مع

الطلاب والأساتذة في الجامعات الأمريكية، مما يثير تساؤلات جدية عن أخلاقيات المنحة الدراسية^{٤٩}.

إنّ جمع المعلومات للسيطرة على الناس أمر أساسي لأيّ سلطة حاكمة. كما تنتشر مقاومة الاستحواذ على الأراضي والسياسات الاقتصادية الجديدة في جميع أنحاء الهند، في ظلال الحرب القائمة وسط الهند، شرعت حكومة الهند في عمل برنامج قياسات حيوية شامل، كتقنية احتواء، ربما يكون أحد أكثر مشاريع جمع المعلومات طموحاً وتكلفة في العالم -رقم التعريف الفريد(UID). لا يمتلك الناس مياه شرب نظيفة، أو مراحيض، أو طعام، أو نقود، بينما سيكون لديهم بطاقات انتخابية وأرقام تعريف فريدة. هل من قبيل المصادفة أن يكون مشروع رقم التعريف الفريد يديره ناندان نيليكاني، الرئيس التنفيذي السابق لشركة إنفوسيس، التي تهدف إلى "تقديم الخدمات للفقراء" ظاهرياً، سوف تضخ مبالغ ضخمة من المال في صناعة تكنولوجيا المعلومات المحاصرة بعض الشيء؟^{٥٠} لرقمنة بلد بمثل هذا العدد الكبير من السكان غير الشرعيين و "المجهولين" الذين هم في الغالب من سكان الأحياء الفقيرة، الباعة المتجولين، السكان الأصليين الذين لا يملكون سجلات أراض -سوف يُجرّمهم، ويحولهم من غير شرعيين إلى غير قانونيين. إنّ الفكرة هي إنجاز نسخة رقمية من تطويق المشاع ووضع سلطات ضخمة في أيدي دولة شرطية تتزايد تشدداً. يتماشى هوس نيليكاني المناصر للتقانة بجمع البيانات مع هوس بيل غيتس بقواعد البيانات الرقمية والأهداف الرقمية و "سجلات إنجاز التقدم" كما لو أنّ نقص المعلومات هو سبب الجوع في العالم، وليس الاستعمار، والدين، وسياسة الشركات المنحرفة التي تستهدف الربح^{٥١}.

إنَّ المؤسسات الممنوحة للشركات هي أكبر مموِّلي العلوم الاجتماعية والفنون، وتمنح المقررات والمنح الدراسية لطلاب دراسات التنمية، ودراسات المجتمع، والدراسات الثقافية، والعلوم السلوكية، وحقوق الإنسان^{٥٢}. نظراً لأنَّ الجامعات الأمريكية فتحت أبوابها للطلاب الدوليين، ولمئات الآلاف من الطلاب، وأبناء النخبة من العالم الثالث الذين تدفقوا إليها. كما يحصل أولئك الذين لا يستطيعون تحمل الرسوم على منح دراسية. لا تكاد توجد اليوم، في دول مثل الهند وباكستان، عائلة بين الطبقات المتوسطة العليا دون أن يكون فيها ابن درس في الولايات المتحدة. ظهر الباحثون الجيدون والأكاديميون من بين صفوفهم، كما جاء منهم أيضاً رؤساء الوزراء، ووزراء المالية، والاقتصاديون، ومحامو الشركات، والمصرفيون، والبيروقراطيون الذين ساعدوا في انفتاح اقتصادات بلدانهم على الشركات العالمية.

جرت مكافأة الباحثين في الاقتصاد والعلوم السياسية بزمالات، وتمويلات بحثية، ومنح، وهبات، ووظائف. وجد أولئك الذين كانت لهم وجهات نظر معادية للمؤسسة أنفسهم غير مُموَّلين ومهمَّشين ومعزولين، وتوقفت دوراتهم الدراسية. تدريجياً، بدأت نخبة واحدة محددة بالهيمنة على الخطاب -تظاهر هش وسطحي بالتسامح والتعددية الثقافية (الذي يتحول إلى عنصرية، أو قومية مسعورة، أو شوفينية عرقية، أو دعوة إلى الحرب تحت مسمى الإسلاموفوبيا في أيِّ لحظة) تحت سقف أيديولوجية اقتصادية واحدة جامعة وغير تعددية للغاية. لقد هيمنت عليه إلى درجة أنه لم يعد يُنظر إليها على أنَّها أيديولوجية على الإطلاق. بل أصبحت الوضع

الافتراضي، والأسلوب الطبيعي التي يجب أن يُتبع. لقد تسللت إلى الحياة الطبيعية، واستعمرت الاعتيادية، وبدا كما لو أن تحدّيها يبدو أمراً سخيماً أو مبطناً كتحدّي الواقع نفسه. من هذا المنطلق، كانت خطوة سهلة وسريعة إلى "لا يوجد بديل".

ظهرت الآن فقط لغة أخرى في شوارع وجامعات الولايات المتحدة الأمريكية، بفضل حركة "احتلوا". إن رؤية الطلاب الذين يحملون لافتات تقول "صراع الطبقات" أو "لا نمانع في أن تكونوا أثرياء، ولكننا نمانع أن تشتروا حكومتنا"، في ضوء الاحتمالات، تكاد تكون ثورة في حد ذاتها.

بعد قرن على بدايتها، أصبح العمل الخيري للشركات جزءاً لا يتجزأ من حياتنا مثل كوكاكولا. يوجد الآن ملايين المنظمات غير الربحية، العديد منها مرتبط من خلال متاهة مالية بيزنطية تؤدي إلى المؤسسات الأكبر. فيما بينهما، يمتلك هذا القطاع "المستقل" أصولاً تقدر بنحو ٤٥٠ مليار دولار. أكبرها مؤسسة غيتس بمبلغ ٢١ مليار دولار، تليها مؤسسة ليلي (١٦ مليار دولار) ومؤسسة فورد (١٥ مليار دولار).^{٥٣}

تحركت المنظمات غير الحكومية نظراً لفرض صندوق النقد الدولي تعديلات هيكلية وإكراهه الحكومات على تقليص الإنفاق العام على الصحة والتعليم ورعاية الأطفال والتنمية^{٥٤}. إن خصخصة كل شيء كان يعني أيضاً تنظيم كل شيء على نحو غير حكومي. مع اختفاء الوظائف وسبل العيش، أصبحت المنظمات غير الحكومية مصدراً مهماً للتوظيف، حتى بالنسبة إلى أولئك الذين عرفوا حقيقتهم. وهم بالتأكيد ليسوا سيئين جميعهم. من بين ملايين المنظمات غير الحكومية، يقوم البعض بعمل رائع

وجذري، وسيكون من السخافة أن تصف جميع المنظمات غير الحكومية بالصفات نفسها. إلا أن المؤسسات أو المنظمات غير الحكومية التابعة للشركات ما هي سوى طريقة تمويل عالمي لدعم حركات المقاومة ومن ثمّ التحكم بها، بمعنى أن يشتري المساهمون أسهماً في الشركات، ثم يحاولون السيطرة عليها من الداخل. إنهم جاثمون كعقد وسط الجهاز العصبي المركزي، والمسارات التي يتدفق عبرها التمويل العالمي. إنهم يعملون مثل أجهزة الإرسال، والاستقبال، وممتصات الصدمات، والمنتبه على كل نبضة، الحريص على عدم إزعاج حكومات البلدان المضيفة. (تطلب مؤسسة فورد من المنظمات التي تمولها التوقيع على تعهد بهذا الشأن). إنهم بموقع المنتصت (سواء كان ذلك بصورة مقصودة أو عن غير قصد)، فتقاريرهم وورشات عملهم وأنشطتهم التبشيرية الأخرى تُدخل البيانات في نظام مراقبة متزايد العدوانية للدول التي تزداد تشدداً. كلما زادت الاضطرابات في منطقة ما، زاد عدد المنظمات غير الحكومية فيها.

حين تريد الحكومة الهندية أو أقسام من صحافة الشركات التابعة لها إدارة حملة تشويه ضد حركة شعبية حقيقية على نحو خبيث، مثل نارمادا باشو أندولان، أو الاحتجاج على محطة كودانكولام للطاقة النووية، فهُمْ يتهمون هذه الحركات بأثمة منظمات غير حكومية تتلقى "تمويلاً أجنبياً". إنهم يعلمون جيداً أنّ مهمة معظم المنظمات غير الحكومية، ولا سيما المنظمات الممولة تمويلاً جيداً، هي تعزيز مشروع عولمة الشركات، وليس إحباطها.

لقد اقتحمت المنظمات غير الحكومية العالم متسلّحة بملياراتها، مُحوّلة الثوريين المحتملين إلى نشطاء مأجورين، وممّولة الفنانين، والمثقفين، وصانعي الأفلام، لاجتذابهم بلطف بعيداً عن المواجهة الراديكالية، ودفعهم نحو التعددية الثقافية، والمساواة بين الجنسين، وتنمية المجتمع - تمت صياغة الخطاب بلغة سياسات الهوية وحقوق الإنسان.

كان تحويل فكرة العدالة إلى صناعة حقوق الإنسان بمنزلة انقلاب مفاهيمي أدّت فيه المنظمات غير الحكومية والمؤسسات دوراً حاسماً. يقوم التركيز الضيق لحقوق الإنسان بتفعيل إجراء تحليل قائم على الأعمال الوحشية، إذ يمكن أن تكون الصورة الأكبر محجوبة و يمكن لوم طرفي النزاع كليهما - لنقل، الماويين والحكومة الهندية، أو الجيش الإسرائيلي وحماس - باعتبارهما منتهكي حقوق الإنسان. ثم أصبح استيلاء شركات التعدين على الأرض وتاريخ ضم الأراضي الفلسطينية من قبل دولة إسرائيل هوامش ذات تأثير ضئيل للغاية على الخطاب . لا يعني هذا أنّ حقوق الإنسان ليست ذات أهمية. إنّها مهمّة، ولكنها ليست منظوراً جيداً بما يكفي بحيث يُعرض من خلاله الظلم الكبير في العالم الذي نعيش فيه أو يُفهم عن بُعد .

إنّ انقلاباً مفاهيمياً آخر له علاقة بانخراط المؤسسات مع الحركة النسوية. لماذا يحافظ معظم النشطاء النسويين والمنظمات النسائية "الرسمية" في الهند على مسافة آمنة بينهم وبين منظمات تضم ٩٠ ألف عضو مثل كارانتيكاري أديفاسي ماهيلا سانغاتان (الرابطة النسائية الثورية أديفاسي) التي تحارب السلطة الأبوية في مجتمعاتها المحلية وكما تحارب التهجير الذي

تقوم به شركات التعدين في غابة داندكارا ايانا؟ لماذا لا يُنظر إلى سلب وطرد ملايين النساء من الأراضي التي امتلكنها وعملن بها على أنها مشكلة نسوية؟

لم يبدأ انشقاق الحركة النسوية الليبرالية عن الحركات الشعبية المناهضة للإمبريالية والرأسمالية بالمخططات الشريرة للمؤسسات. بدأ الأمر بعدم قدرة تلك الحركات على التكيف مع التطرف السريع عند النساء في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي واستيعابه. أظهرت المؤسسات عبقرية في الاعتراف والتحرك لدعم وتمويل نفاذ صبر النساء المتزايد مع العنف والسلطة الأبوية في مجتمعاتهن التقليدية وكذلك بين القادة التقدميين الافتراضيين للحركات اليسارية. في بلد مثل الهند، انتقل الانفصال أيضاً إلى توزّع الريف والحضر. كانت معظم الحركات الراديكالية المناهضة للرأسمالية موجودة في الريف، حيث استمرت السلطة الأبوية في التحكم بحياة النساء. أثرت الحركة النسوية الغربية في الناشطات الحضريات اللاتي انضممن إلى هذه الحركات (مثل الحركة الناكسالية) وأهملتهن، وكانت رحلاتهن الخاصة نحو التحرر في كثير من الأحيان مناقضة لما عدّه قادتهن أنه من واجباتهن وهو: التوافق مع "الجماهير". لم يكن الكثير من الناشطات على استعداد لانتظار "الثورة" أكثر من ذلك من أجل إنهاء القمع والتمييز اليومي في حياتهن، بما في ذلك القمع والتمييز الذي يقوم به رفاقهن. لقد أرادوا أن تكون المساواة بين الجنسين جزءاً مطلقاً وعاجلاً وغير قابل للتفاوض من العملية الثورية، وليست مجرد وعد ما بعد الثورة. بدأت النساء الذكيات والغاضبات والمصابات بخيبة الأمل في الابتعاد والبحث

عن وسائل أخرى للدعم والنفقة. نتيجة لذلك، في الوقت الذي فُتحت فيه الأسواق الهندية، بحلول أواخر الثمانينيات، أصبحت الحركة النسوية الليبرالية في الهند منظمة غير حكومية بصورة مفرطة. قامت العديد من هذه المنظمات غير الحكومية بعمل أساسي في مجال حقوق الشواذ، والعنف المنزلي، والإيدز، وحقوق العاملين في مجال الجنس. بيد أن الحركة النسوية الليبرالية لم تكن في طليعة من تحدوا السياسات الاقتصادية الجديدة، على الرغم من أن النساء كن أكبر المتضررين. من خلال التلاعب بصرف الأموال، نجحت المؤسسات إلى حد كبير في تقييد نطاق ما يجب أن يكون عليه النشاط "السياسي". تنص مذكرات التمويل للمنظمات غير الحكومية الآن على ما يُمكن اعتباره "قضايا" نسائية وما لا يُعد كذلك .

كما أدى تحويل الحركة النسائية إلى منظمات غير حكومية إلى جعل النسوية الليبرالية الغربية (بحكم كونها العلامة التجارية الأكثر تمويلاً) حاملة لواء ما يُشكل الحراك النسوي. لقد دارت المعارك، كالعادة، على أجساد النساء، نبد البوتوكس من جهة والنقاب من الجهة الأخرى. (عندئذ يكون هناك من يعاني من الضربة المزدوجة البوتوكس والنقاب). عندما يكون هناك محاولة، كما حدث مؤخراً في فرنسا، لإكراه النساء على خلع النقاب بدلاً من إيجاد وضع يُمكن فيه للمرأة أن تختار ما ترغب في القيام به، فالأمر لا يتعلق بتحريرها بل بتعريفها. يصبح الأمر إذلالاً وإمبريالية ثقافية. إن إكراه المرأة على خلع نقابها أمر سيئ مثل إجبارها على ارتداء النقاب. لا يتعلق الأمر بالنقاب، بل بالإكراه. إن النظر إلى الجنس بهذه الطريقة، بالتجرد عن السياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، يجعله قضية هوية،

ومعركة دعائم وأزياء. وهو ما سمح للحكومة الأمريكية باستخدام الجماعات الليبرالية النسوية الغربية كغطاء أخلاقي عندما غزت أفغانستان في عام ٢٠٠١. كانت النساء الأفغانيات (ولا يزلن) في ورطة رهيبة تحت حكم طالبان. لكن إسقاط قنابل من نوع ديزي كاتر عليهن لن يحل المشكلة.

في عالم المنظمات غير الحكومية، الذي طور لغة غريبة لطيفة خاصة به، أصبح كل شيء "موضوعاً"، قضية منفصلة وتخصيصية وذات اهتمام خاص. تطوير المجتمع، تنمية القيادة، حقوق الإنسان، الصحة، التعليم، الحقوق الإنجاب، الإيدز، الأيتام المصابون بالإيدز - عُزلوا جميعاً بإحكام في صوامعهم الخاصة، ولكل منها موجز تمويل تفصيلي ودقيق. أدى التمويل إلى تضامن مُجَزَّأ بطرق لم يستطع القمع القيام بها.

غالباً ما يجري تأطير الفقر، مثل الحراك النسوي، على أنه مشكلة هوية. كما لو أن الفقراء لم يظهروا بسبب الظلم ولكنهم قبيلة مفقودة كان وجودها محض مصادفة، ويمكن إنقاذها على المدى القصير من خلال نظام إنصاف المظالم (تديره المنظمات غير الحكومية على أساس فردي من شخص إلى آخر)، وسيتسبب الحكم الرشيد على المدى الطويل في قيامته. لا غنى عن قول إنه سيتم في ظل نظام رأسمالية الشركات العالمية.

عاد الفقر الهندي، بعد مدّة وجيزة من التيه في حين كانت الهند "تتألق" في الفنون، بهوية غريبة، بقيادة أفلام مثل المليونير المتشرد Slumdog Millionaire. لا يوجد أوغاد في هذه القصص عن الفقراء، وروحهم المذهلة وقدرتهم على الصمود - سوى هؤلاء الصغار الذين يقدمون التوتر السردي

والطابع المحلي. إنَّ مؤلّفي هذه الأعمال هم المؤلفون المعاصرون العالميون نظراء علماء الإنسانيات الأوائل، الذين جرى تكريمهم للعمل "على الأرض" والإشادة بهم، لرحلاتهم الشجاعة إلى المجهول. نادراً ما ترى أنَّ الأغنياء يُمتحنون بهذه الطرق.

بعد أن توصلت المؤسسة الليبرالية الجديدة إلى كيفية إدارة الحكومات، والأحزاب السياسية، والانتخابات، والمحاكم، ووسائل الإعلام، والرأي الليبرالي، واجهت تحدياً آخر: وهو كيفية التعامل مع الاضطراب المتزايد، والتهديد الذي تسببه "سلطة الشعب". وكيف لها أن تروّضه؟ كيف لها أن تُحوّل المحتجين إلى أشخاص أليفين؟ كيف يمكنك إفراغ سخط الناس وإعادة توجيهه إلى طرق مسدودة؟

تتمتع المؤسسات والمنظمات الخليفة لها هنا أيضاً بتاريخ طويل وبرايق. وخير مثال على ذلك هو دورهم في نزع فتيل حركة الحقوق المدنية للسود ومعالجة طرفها في الولايات المتحدة في الستينيات والتحول الناجح لقوة السود إلى رأسمالية السود^{٥٥}.

عملت مؤسسة روكفلر، تماشياً مع مبادئ جون دافيسون روكفلر، عن كثب مع مارتن لوثر كينغ الأب (والد مارتن لوثر كينغ الابن). بيد أن نفوذه تضاعف مع ظهور المزيد من المنظمات المتشددة - لجنة التنسيق الطلابية اللاعنفية (SNCC) والفهود السود. وصلت مؤسستا فورد وروكفلر. تبرعتا بمبلغ ١٥ مليون دولار لمنظمات السود "المعتدلة" في عام ١٩٧٠، مما منح الناس الهبات والزمالات والمنح الدراسية وبرامج التدريب الوظيفي وبرامج للمتسربين من التعليم وأموال التأسيس للشركات المملوكة للسود

٥٦. وأدى جذب التمويل إلى الضمور التدريجي لمنظمات السود المتطرفة وإلى القمع، والقتال الداخلي.

أجرى مارتن لوثر كينغ الابن ارتباطات ممنوعة بين الرأسمالية والإمبريالية والعنصرية وحرب فيتنام. ونتيجة لذلك، بعد اغتياله، أصبحت ذكراه مزعجة ومثيرة للخوف، وتُشكل تهديداً للنظام العام. عملت المؤسسات والشركات بجد لإعادة تشكيل إرثه بصيغة مواتية للسوق. أنشأت شركات فورد موتورز، جنرال موتورز، موبيل، ويسترن إلكتريك، بروكتور آند غامبل، فولاذ الولايات المتحدة الأمريكية، ومونسانتو، من ضمن شركات أخرى، مركز مارتن لوثر كينغ الابن للتغيير الاجتماعي السلمي، بمنحة تشغيلية قدرها مليوناً دولار. احتفظ المركز بمكتبة كينغ ومحفوظات حركة الحقوق المدنية. كان هناك مشاريع "تعمل بشكل وثيق مع وزارة الدفاع الأمريكية ومجلس قساوسة القوات المسلحة وغيرهما" ٥٧. من بين البرامج العديدة التي يديرها مركز كينغ. وقد شاركت في رعاية سلسلة محاضرات مارتن لوثر كينغ الابن المسماة "نظام المشروع الحر: عامل للتغيير الاجتماعي السلمي" ٥٨.

أمين.

تُفد انقلاب مماثل في مناهضة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا. نظمت مؤسسة روكفلر، في عام ١٩٧٨، لجنة دراسة حول سياسة الولايات المتحدة تجاه إفريقيا الجنوبية. وحذر التقرير من تنامي نفوذ الاتحاد السوفيتي على حزب المؤتمر الوطني الإفريقي (ANC) وقال: إن خدمة إستراتيجية الولايات المتحدة ومصالح الشركات (التي هي الوصول إلى

معادن جنوب إفريقيا) سيتم على أفضل وجه لو تقاسمت جميع أجناس البشر القوة السياسية تقاسماً حقيقياً.

بدأت المؤسسات في دعم حزب المؤتمر الوطني الإفريقي، الذي سرعان ما انقلب على المنظمات الأكثر تطرفاً مثل حركة وعي السود بقيادة ستيف بيكو وقضى عليها بشكل أو بآخر. عندما تولى نيلسون مانديلا منصب أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا، قُدس كأنه صانع المعجزات، ليس فقط لأنه مناضل أمضى سبعة وعشرين سنة في السجن من أجل الحرية، بل لأنه خضع تماماً لإجماع واشنطن. اختفت الاشتراكية من أجندة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي. إن "التحول السلمي" العظيم في جنوب إفريقيا، الذي جرى الثناء عليه والإشادة به، لم يُقصد من ورائه إصلاح الأراضي، ولا مطالب بتعويضات، ولا تأميم مناجم جنوب إفريقيا. بل كان هناك خصخصة وتعديل هيكلية. منح مانديلا أعلى وسام مدني في جنوب إفريقيا - نيشان الرجاء الصالح - لصديقه القديم وداعمه الجنرال سوهارتو، قاتل الشيوعيين في إندونيسيا. يحكم جنوب إفريقيا اليوم زمرة من المتشددين السابقين والنقابيين الذين يقودون سيارات مرسيدس. إلا أن هذا أكثر من كافٍ لإدامة أسطورة تحرير السود.

كان ظهور حركة القوة السوداء في الولايات المتحدة لحظة إلهام لظهور حركة الداليت المتشددة التقدمية في الهند، إذ تعكس منظمات مثل فهود الداليت السياسات المتشددة للفهود السود. غير أن داليت باور أيضاً قد مُزقت ونُزع فتيلها، ليس بالطرق نفسها تماماً ولكن بطرق متشابهة، كما أنّها في طريقها نحو التحول إلى داليت الرأسمالية بفضل المساعدة الكبيرة من المنظمات الهندوسية اليمينية ومن مؤسسة فورد.

ذكرت صحيفة إكسبريس الهندية في كانون الأول من العام الماضي : " إن شركة داليت المتحدة المستعدة لإظهار الأعمال التجارية بإمكانها التغلب على الطبقة الاجتماعية"، واستطردت نقلاً عن أحد معلمي غرفة التجارة والصناعة الهندية التابعة للداليت (DICCI) : "إن وصول رئيس الوزراء لاجتماع الداليت ليس بالأمر الصعب في مجتمعنا، غير أنه بالنسبة إلى رواد الأعمال في الداليت، فإن مبتغاهم هو التقاط صورة مع رجال الأعمال في تاتا وغودريج على الغداء والشاي - دليل على وصولهم"، وبالنظر إلى الوضع في الهند الحديثة، فسوف يكون من الطبعي والرجعي أن نقول إن رواد أعمال داليت لا ينبغي أن يكون لهم مكان في المجلس الأعلى. ولكن إذا كان هذا هو الطموح، والإطار الأيديولوجي لسياسات داليت، فسيكون ذلك مؤسفاً للغاية. ومن غير المرجح أن تساعد مليون شخص من المنبوذين الذين ما زالوا يكسبون قوت يومهم من جمع القمامة يدوياً - وهم يحملون القدرة على رؤوسهم.

لا يمكن الحكم بقسوة شديدة على الدارسين الشباب من الداليت الذين يقبلون المنح المقدمة من مؤسسة فورد، فمن غيرهم يقدم لهم فرصة للخروج من بالوعة النظام الطبقي الهندي؟ يقع جزء كبير من اللوم والعار أيضاً في هذا التحول في الأحداث على الحركة الشيوعية، التي لا يزال قادتها من الطبقة العليا في الغالب. لقد حاولت لسنوات فرض فكرة الطبقة على التحليل الطبقي الماركسي، وقد فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً نظرياً وعملياً. بدأ الانشقاق بين مجتمع الداليت واليسار مع خلاف بين زعيم الداليت صاحب الرؤية بيمراو أمبيدكار والنقابي شريباد أمرت دانج، العضو

المؤسس للحزب الشيوعي الهندي. بدأت خيبة الدكتور أمبيدكار من الحزب الشيوعي مع إضراب عمال النسيج في مومباي عام ١٩٢٨، عندما أدرك أنه على الرغم من كل الخطب الرنانة عن تضامن الطبقة العاملة، لم يجد الحزب أن من المستنكر إبعاد "المنبوذين" عن قسم النسيج (وهم فقط المؤهلون لقسم الغزل ذي الأجور المنخفضة) لأن العمل تطلّب استخدام اللعاب على الخيوط، والتي عدّها الطبقات الأخرى "تلويثاً".

أدرك أمبيدكار أنّه في مجتمع تقوم فيه الكتب المقدسة الهندوسية بإضفاء الطابع المؤسسي على النبذ وعدم المساواة، فإنّ المعركة من أجل "المنبوذين"، ومن أجل الحقوق الاجتماعية والمدنية، مُلحةٌ جداً بحيث لا يمكن انتظار الثورة الشيوعية الموعودة. لقد كان للصدع بين أنصار أمبيدكار واليسار تكلفة باهظة عليهما كليهما. وكان هذا يعني أنّ الغالبية العظمى من سكان الداليت، وهم العمود الفقري للطبقة العاملة الهندية، قد علّقت آمالها في الخلاص والكرامة على الدستورية والرأسمالية والأحزاب السياسية مثل حزب باهوجان ساماج (BSP)، الذي يطبق سياسة مهمّة، ولكن على المدى الطويل، تؤدّي إلى ركود، علامة تجارية لسياسات الهوية.

كما رأينا، في الولايات المتحدة، أنتجت المؤسسات الممنوحة من الشركات ثقافة المنظمات غير الحكومية. في الهند، بدأ عمل الشركات الخيري المستهدف بصورة جدية في التسعينيات من القرن الماضي، وهو عصر السياسات الاقتصادية الجديدة. إنّ العضوية في غرفة الملك ليست رخيصة. تبرعت مجموعة تاتا بمبلغ ٥٠ مليون دولار لتلك المؤسسة المحتاجة وهي كلية هارفارد للأعمال، و ٥٠ مليون دولار أخرى لجامعة كورنيل. تبرع

ناندان نيليكاني من شركة إنفوسيس وزوجته روهيني بمبلغ ٥ ملايين دولار كمنحة مبدئية مبادرة الهند في جامعة ييل. أصبح مركز العلوم الإنسانية بجامعة هارفارد الآن مركز ماهيندرا للعلوم الإنسانية، بعد أن تلقى أكبر تبرع على الإطلاق بقيمة ١٠ ملايين دولار من أناند ماهيندرا من مجموعة ماهيندرا.

في الوطن، مجموعة جيندال، مع حصة كبيرة في التعدين، والمعادن، والطاقة، تقوم بإدارة مدرسة جيندال العالمية للقانون وستفتتح قريباً مدرسة جيندال للحكومة والسياسة العامة. (تدير مؤسسة فورد كلية الحقوق في الكونغو). تقوم مؤسسة الهند الجديدة، التي يمولها ناندان نيليكاني، من أرباح إنفوسيس، بمنح جوائز ومنح دراسية لعلماء الاجتماع. لقد أعلنت مؤسسة سيتارام جندال، التي منحها رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة جيندال ألينيوم المحدودة، عن خمس جوائز نقدية سنوية قيمة كل منها عشرة ملايين روبية، تُمنح للعاملين في التنمية الريفية، والتخفيف من حدة الفقر، والارتقاء الأخلاقي والتعليم، والبيئة، والسلام والتناغم الاجتماعي. إن مؤسسة أوبزرفر للأبحاث (ORF)، الممنوحة حالياً من قبل موكيش أمباني، مقولبة في قالب مؤسسة روكفلر. تمتلك عملاء استخبارات متقاعدتين، ومحللين إستراتيجيين، وسياسيين (يتظاهرون بأن بعضهم ضد بعض في البرلمان)، وصحفيين، وصانعي سياسات باعتبارهم "زملاء" في البحث ومستشارين.

تبدو أهداف مؤسسة أوبزرفر للأبحاث واضحة بما يكفي: "للمساعدة في تكوين إجماع لصالح الإصلاحات الاقتصادية". ولتشكيل

الرأي العام والتأثير فيه، ولخلق "خيارات سياسية بديلة ومجدية في مجالات متشعبة مثل خلق فرص التوظيف في المناطق المتخلفة وإنشاء إستراتيجيات فورية لمواجهة التهديدات النووية والبيولوجية والكيميائية"^{٦٠}.

كنت في البداية في حيرة من الانشغال "بالتهديدات النووية والبيولوجية والكيميائية" في الأهداف المعلنة لمؤسسة أوبزرفر للأبحاث. ولكنني كنت أقل حيرة من ذلك عندما وجدت أسماء رايتون ولوك هيد مارتن، وهما من أكبر مصنعي الأسلحة في العالم، في القائمة الطويلة التي تضم "شركائها المؤسسين". أعلنت شركة رايتون في عام ٢٠٠٧ أنها حولت اهتمامها نحو الهند^{٦١}. هل يمكن أن تنفق الهند جزءاً أعلى الأقل من ميزانية الدفاع السنوية لها والبالغة ٣٢ مليار دولار على الأسلحة والصواريخ الموجهة والطائرات والسفن الحربية ومعدات المراقبة التي صنعتها رايتون ولوك هيد مارتن؟

هل نحتاج إلى أسلحة لخوض الحروب؟ أم إننا في حاجة إلى حروب لخلق سوق للأسلحة؟ تعتمد اقتصادات أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل في نهاية المطاف على صناعة أسلحتهم بصورة كبيرة. إنه الشيء الوحيد الذي لم يتعاقد عليه مع الصين.

في الحرب الباردة الجديدة بين الولايات المتحدة والصين، يجري إعداد الهند لتلعب الدور الذي لعبته باكستان كحليف للولايات المتحدة في الحرب الباردة مع روسيا. (وانظر إلى ما حدث لباكستان.) العديد من المعلقين و "المحللين الإستراتيجيين" الذين يؤججون العداء بين الهند والصين، كما سترى، يمكن أن نعزوه بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى مراكز الفكر

والمؤسسات الهندو أمريكية. كونك "شريكاً إستراتيجياً" للولايات المتحدة لا يعني أن يقوم رؤساء الدول بإجراء مكالمات هاتفية ودية بعضهم مع بعض بين الحين والآخر. إنه يعني التعاون (التدخل) على كل مستوى. إنه يعني استضافة القوات الخاصة الأمريكية على الأراضي الهندية (أكد قائد البنتاغون ذلك مؤخراً لقناة بي بي سي). إنه يعني تبادل المعلومات الاستخبارية، وتغيير سياسات الزراعة والطاقة، وانفتاح قطاعي الصحة والتعليم أمام الاستثمار العالمي. هذا يعني انفتاح تجارة التجزئة. إنه يعني شراكة غير متكافئة حيث دفع الهند إلى الوصول إلى عرض بيع أسهمها والرقص مع شريك سوف يحرقها في اللحظة التي ترفض فيها الرقص.

سوف تجد أيضاً في قائمة "الشركاء المؤسسين" لمؤسسة أوبزرفر للأبحاث مؤسسة راند، ومؤسسة فورد، والبنك الدولي، ومعهد بروكينغز (الذي تمثل مهمته المعلنة في "تقديم توصيات مبتكرة وعملية تعمل على تطوير ثلاثة أهداف عامة: تدعيم الديمقراطية الأمريكية؛ وتعزيز الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، والأمن والفرص لجميع الأمريكيين؛ وتأمين نظام دولي تعاوني أكثر انفتاحاً وأماناً وازدهاراً"). سوف تجد أيضاً مؤسسة روزا لوكسمبورغ الألمانية. (روزا المسكينة، التي ماتت بسبب الشيوعية، لتجد اسمها في قائمة مثل هذه!).

على الرغم من أن الرأسمالية تهدف إلى أن تكون قائمة على المنافسة، أظهر مَنْ هم في قمة سلسلة الغذاء أيضاً أنهم قادرون الشمولية والتضامن. لقد قام كبار الرأسماليين الغربيين بالأعمال التجارية مع الفاشيين والاشتراكيين والطغاة والديكتاتوريين العسكريين. يمكنهم التكيف

والابتكار باستمرار. إنهم قادرون على التفكير السريع والمكر التكتيكي الهائل.

ولكن على الرغم من تدعيم نفسها بنجاح من خلال قيامها بتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية، وعلى الرغم من شنها للحروب واحتلالها البلدان عسكرياً من أجل إقامة "ديمقراطيات" السوق الحرة، فإنّ الرأسمالية تمر بأزمة لم تكشف خطورتها عن نفسها تماماً بعد. قال ماركس: "ما تنتجه البرجوازية، قبل كل شيء، هو حفارو قبرها. إنّ سقوطها وانتصار البروليتاريا أمران حتميان على حدّ سواء" ^{٦٣}.

تعرضت البروليتاريا، كما رآها ماركس، لهجوم مستمر. أُغلقت المصانع واختفت الوظائف وحلّت النقابات العمالية. حُرض أولئك الذين يشكّلون البروليتاريا، على مدى السنين، بعضهم ضد بعض بكل وسيلة ممكنة. كان الهندوسي ضد المسلم في الهند، والهندوسي ضد المسيحي، المنبوذون ضد الأديفاسيين، والطائفة ضد الأخرى، منطقة ضد أخرى. وفي نهاية المطاف كلّ العالم يقاوم. في الصين، هناك عدد لا يحصى من الإضرابات والانتفاضات. في الهند، كافح أفقر الناس في العالم لوقف استمرار نشاط بعض أغنى الشركات.

إنّ الرأسمالية في أزمة. فقد فشلت نظرية التسرب. كما أنّ نظرية التدفق في مأزق أيضاً. الانهيار المالي الدولي يقترب من نهايته. انحدر معدل النمو في الهند إلى ٦.٩%. الاستثمار الأجنبي أخذ في الانسحاب. الشركات الدولية الكبرى تقبع على أكوام ضخمة من الأموال، لا يعرفون أين

يستثمرونها، ولا تعرف كيف ستنتهي الأزمة المالية. هذا صدع هيكلي رئيسي في طاغوت رأس المال العالمي.

قد ينتهي الأمر بـ "حفار القبور" الحقيقي للرأسمالية أن يصبح كرادلته أنفسهم أصحاب الضلال، الذين حولوا الأيديولوجيا إلى إيمان. بالرغم من تألقهم الإستراتيجي، يبدو أنهم يواجهون صعوبة في فهم حقيقة بسيطة: إنّ الرأسمالية تدمر الكوكب. ببساطة، لن تنجح حيلنا الحرب والتسوق القديمتان اللتان استخرجتهما من أزمات الماضي.

وقفتُ خارج أنتيلا لفترة طويلة أشاهد غروب الشمس. تخيلت أنّ البرج كان عميقاً بقدر ارتفاعه، وأنّ له جذراً طويلاً يبلغ طوله سبعة وعشرين طابقاً، يتسلل تحت الأرض، ويمتصّ القوت من الأرض بنهم، ويحوّله إلى دخان وذهب.

لماذا اختارت شركة أمباني اسم أنتيلا لتطلقه على مبناها؟ إنّ اسم أنتيلا هو اسم مجموعة من الجزر الأسطورية التي تعود قصتها إلى أسطورة إيبيرية من القرن الثامن الميلادي. عندما احتل المسلمون هسبانيا^(١)، استقل ستة أساقفة مسيحيون من القوط الغربيين وأبناء رعيتهم السفن وهربوا. وصلوا إلى جزر أنتيلا، بعد أيام، أو ربما بعد أسابيع من بقائهم في البحر، حيث قرروا الاستقرار وإقامة حضارة جديدة. أحرقوا قواربهم لقطع صلاتهم بوطنهم الذي يسيطر عليه البربريون بصورة دائمة.

(١) هسبانيا: "هو الاسم المعطى من قبل الرومان إلى كامل شبه الجزيرة (الإيبيرية) الحديثة البرتغال، وإسبانيا، واندورا، وجبل طارق وجزء جنوبي صغير جدا من فرنسا" - المصدر ويكيبيديا - المترجمة.

هل يأمل مالكو شركة أمباني في قطع صلاتهم بالفقر والبؤس الذي في وطنهم وإقامة حضارة جديدة، وذلك من خلال تسمية برجهم باسم أنتيلا؟ هل هذا هو العمل الأخير لأنجح حركة انفصالية في الهند: ألا وهو انفصال الطبقات المتوسطة والعليا ووصولهم إلى الفضاء الخارجي؟

مع حلول الليل فوق مدينة مومباي، ظهر حراس يرتدون قمصاناً من الكتان الناعم مع أجهزة اتصال لاسلكية خارج البوابات المحظورة في أنتيلا. ملأت الأضواء العيون نوراً، ربما لإخافة الأشباح. يشتكي الجيران من أن أضواء أنتيلا الساطعة قد سرقت الليل.

ربما حان الوقت لاستعادة الليل.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثاني

أفضل ألا أكون أنا

في حين أن وسائله قد تكون على الطريقة الغاندية إلا أن مطالبه بالتأكيد ليست كذلك.

إذا ما كان ما نتابعه على التلفاز ثورة حقيقية، إذن يجب أن يكون أحد أكثر الأمور المحرجة وغير المفهومة في الوقت الحاضر. أما الآن، فإن أيّ أسئلة تجول في خاطرك بشأن مشروع قرار جان لوكبال إليك الإجابات التي من المحتمل أن تحصل عليها - اكتب في مربع البحث: ا. فأنده ماترام "Vande Mataram" (سوف أنحني لك يا أمي)، ب. بهارات ماتا كي جاي "Bharat Mata ki Jai" (النصر لأمتنا الهند)، ج. الهند هي أنا وأنا هي الهند، د. جاي هند "Jai Hind" (تحيا الهند).

يمكننا القول لأسباب مختلفة تماماً وبطرق مختلفة تماماً إنّ للهاويين ومشروع قرار جان لوكبال شيئاً مشتركاً، وهو أنّ كليهما يسعيان إلى سقوط دولة الهند. أحدهما يعمل من الأسفل إلى الأعلى، بوساطة الصراع المسلح، الذي يقوم به أفقر الفقراء المأجورين الذين غالبيتهم من الجيش الأديفاسي. والآخر من الأعلى إلى الأسفل بوساطة الانقلاب الغاندي غير الدموي، الذي قاده قديس حديث العهد وجيش أغلبه من الحضريين وأناس

ميسوري الحال بالتأكيد. (في هذه العملية، تعاونت الحكومة عن طريق فعل كل ما بإمكانها القيام به لتمنع سقوطها).

في شهر نيسان من عام ٢٠١١، بعد أيام قليلة من أول "صوم حتى الموت" لآنا هازار، بحثاً عن طريقة ما لتشتت الانتباه عن عمليات الاحتيال والفساد الشاملة التي أضرت بمصداقيته، قامت الحكومة بدعوة فريق أنا، وهو الاسم التجاري الذي اختارته مجموعة "المجتمع المدني"، حتى تكون جزءاً من لجنة صياغة مشتركة لقانون جديد لمكافحة الفساد. ثم تخلت عن هذا الجهد بعد عدة أشهر وقدمت مشروع قانونها الخاص إلى البرلمان، وهو مشروع قانون معيب إلى درجة أن اتخاذه على محمل الجد يُعدّ أمراً مستحيلاً.

ثم، في السادس عشر من شهر آب، صبيحة يوم "صومه الثاني حتى الموت"، ألقى القبض على آنا هازار وسُجن قبل أن يبدأ صيامه أو أن يرتكب أي مخالفة قانونية. اندمج الآن النضال من أجل تنفيذ قانون جان لوكبال في نضالٍ من أجل الحق في الاحتجاج، والنضال من أجل الديمقراطية في حدّ ذاتها. في غضون ساعات من "النضال الثاني من أجل الحرية"، أُطلق سراح آنا. رفض مغادرة السجن بتعقل لكنه بقي في سجن تيهار كضيف شرف، إذ بدأ بالصيام مطالباً بالحق في الصيام في مكان عام مدة ثلاثة أيام، وفي حين تجمعت الحشود وعربات التلفاز في الخارج، كان أعضاء فريق أنا يدخلون إلى السجن الذي كان شديد الحراسة ويخرجون منه، ويجرون رسائله المصورة كي يبثها التلفاز الوطني على جميع القنوات. (أي شخص آخر سوف يُمنح مثل هذه الرفاهية؟) في غضون ذلك، عمل

مئتان وخمسون موظفاً من الهيئة البلدية في دلهي وخمس عشرة شاحنة وست جرافات على مدار الساعة لتجهيز أراضي رامليلا الرخوة لاستضافة عرض عطلة نهاية الأسبوع الكبير. الآن، وبعد أن قاموا بكل ما يلزم، وتابعتهم الحشود الهاتفة وكاميرات التصوير المحمولة على الرافعات، التي حضرها أعلى الأطباء في الهند، بدأت المرحلة الثالثة من صيام أنا حتى الموت. يجبرنا مذيعو التلفاز "من كشمير إلى كنيماكاري، إن الهند موحدة".^٢

في حين أن وسائله قد تكون على الطريقة الغاندية، إلا أن مطالب أنا هازار بالتأكيد ليست كذلك. على النقيض من آراء غاندي عن لامركزية السلطة، فإن قانون جان لوكبال هو قانون صارم لمكافحة الفساد، إذ تقوم هيئة من الأشخاص المختارين بعناية بإدارة بيروقراطية عملاقة، مع آلاف الموظفين، لهم سلطة اعتقال كل شخص ابتداء من رئيس الوزراء، والقضاة، وأعضاء البرلمان وكل الأجهزة البيروقراطية، وصولاً إلى أدنى مسؤول حكومي. سيشتمع قانون لوكبال بصلاحيات التحقيق والمراقبة والمقاضاة. باستثناء حقيقة أنه لن يكون له سجوناً خاصة به، سوف يعمل كإدارة مستقلة، تهدف إلى مواجهة الحكومة المتضخمة والفاصلة غير الخاضعة للمساءلة كحكومتنا الحالية. حكومتان من الأقلية، بدل حكومة واحدة فقط.

سواء كان ناجحاً أم لا فهذا يعتمد على طريقة رؤيتنا للفساد. هل الفساد مجرد مسألة مشروعية، أو مخالفات مالية أو رشوة، أم إنها شيوع معاملة اجتماعية في مجتمع غير متكافئ بشكل فاضح، إذ يستمر تركّز السلطة في أيدي أقلية أصغر وأصغر؟ تخيل، على سبيل المثال، مدينة من مراكز

التسوق، جرى حظر التجوال في شوارعها. تدفع بائعة متجولة رشوة صغيرة لشرطي الدورية المحلية ولرجل من البلدية لخرق القانون وبيع بضاعتها لأولئك الذين لا يستطيعون تحمّل أسعار البضاعة في مراكز التسوق. هل هذا شيء فظيع؟ هل سيتعين عليها في المستقبل أن تدفع لمثل قانون لو كبال أيضاً؟ هل يكمن حلّ المشاكل التي يواجهها الناس العاديون في معالجة عدم المساواة التنظيمية أو في إنشاء تركيبة أخرى للسلطة يجب على الناس الإذعان له؟

في هذه الأثناء، جرت استعارة جميع الدعائم وتصميم الرقصات والقومية العدوانية والتلويح بالأعلام في ثورة آنا من الاحتجاجات المناهضة للحماية من الحرائق، ومسيرة النصر في كأس العالم، والاحتفال بالاختبارات النووية. يشيرون لنا أنّه إذا لم ندعم الصيام، فنحن لسنا "هنوداً حقيقيين". قررت القنوات التي تعمل على مدار الساعة عدم وجود أخبار أخرى في البلاد تستحق النشر.

لا يعني "الصيام" بالطبع صيام إيروم شارميلا، الذي استمر لأكثر من عشر سنوات (يتم إطعامها قسراً الآن) إزاء قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة (AFSPA)، الذي يسمح للجنود في مانيبور بالقتل لمجرد الاشتباه فقط. هذا لا يعني مراحل صيام الجوع المتواصل الذي يقوم به عشرة آلاف قروي في كودانكولام احتجاجاً على محطة الطاقة النووية. لا يُقصد "بالشعب" المانيبوريين الذين يدعمون صيام إيروم شارميلا. ولا يعني ذلك أيضاً الآلاف الذين يواجهون رجال الشرطة المسلحين ومافيا التنقيب في جاجتسنغور، أو كالينجاناجار، أو نيامجيري، أو باستار، أو

جيتابور. ولا نقصد به أيضاً ضحايا تسرب الغاز في بوبال أو السكان الذين نزحوا بسبب السدود في وادي نارمادا. كما أننا لا نقصد به المزارعين في منطقة نويدا للتنمية الصناعية (NOIDA)، أو بونا أو هاريانا أو أي مكان آخر في البلاد، ممن يقاومون الاستيلاء على الأرض.

إنّ المقصود بـ"الشعب" هم فقط الجمهور الذي اجتمع لمشاهدة مشهد رجل يبلغ من العمر أربعة وسبعين عاماً يهدد بتجويع نفسه حتى الموت إذا لم يُدرج قانون جان لوكبال والمصادقة عليه من قبل البرلمان. إنّ "الشعب" هم عشرات الآلاف الذين ضاعفت قنواتنا التلفزيونية أعدادهم بأعجوبة ليصبحوا ملايين، كما ضاعف السيد المسيح الأسماك والأرغفة لإطعام الجياع. قيل لنا: "لقد قالت أصوات مليار شخص". "إنّ الهندي أنا".

مَنْ هو، هذا القديس الجديد، هذا الصوت الذي يمثل الشعب في الواقع؟ والغريب أننا لم نسمعه يقول شيئاً عن الأشياء الملحة ذات الاهتمام. لا شيء عن انتحار المزارع في حيه، أو عن عملية غرين هانت العسكرية البعيدة. لا شيء عن بلدات سينغور، و نانديغرام، و لالغرا، لا شيء عن شركة بوسكو، أو عن ثورات المزارعين أو آفة المناطق الاقتصادية الخاصة SEZs. لا يبدو أنّ لديه وجهة نظر حول خطط الحكومة لنشر الجيش الهندي فيها غابات وسط الهند.

ومع ذلك، فهو يدعم كراهية الأجانب في كتاب ماراثي مانوس Marathi Manos للمؤلف راج ثاكيراى وأشاد "بنموذج التنمية" الذي قدمه رئيس الوزراء ولاية غوجارات، وأشرف على مذبحه عام ٢٠٠٢ ضد

المسلمين. سحب أنا هذا البيان بعد احتجاج شعبي، ولكنه ربما لم يسحب إعجابه).^٣

على الرغم من اللغط، فعل الصحفيون العقلاء ما يفعله الصحفيون. لدينا الآن قصة تعود إلى علاقة أنا القديمة مع منظمة التطوع الوطنية اليمينية (RSS).^٤ سمعنا من موكول شارما، الذي درس مجتمع قرية أنا في راليجان سيدي، إذ لم يكن هناك مؤسسة غرام بانشيات أو انتخابات المجتمع التعاوني في السنوات الخمس والعشرين الماضية. نعرف عن موقف أنا تجاه "الهاريجان": "لقد كانت رؤية المهاتما غاندي أنه يجب أن يكون لكل قرية عامل في الجلود، صانع حلي، صانع فخار، وهكذا. يجب عليهم جميعاً القيام بعملهم وفقاً لدورهم ومهنتهم، وبهذه الطريقة، سوف تكون القرية مستقلة ذاتياً. هذا ما نمارسه في راليجان سيدي". هل من المدهش أن يكون أعضاء فريق أنا قد ارتبطوا أيضاً بحركة الشباب من أجل المساواة، والحركة المناهضة لنظام الحجز (المؤيد للجدارة)؟ يدير الحملة أشخاص، هم الشخصيات الرئيسية في فريق أنا، ويديرون مجموعة من المنظمات غير الحكومية الممولة بسخاء من قبل شركات كوكا-كولا وليمان براذرز و كابير، التي يديرها أرفيند كيجريوال ومانيش سيسوديا، وقد تلقوا ٤٠٠ ألف دولار من مؤسسة فورد في السنوات الثلاث الماضية.^٥ ومن بين المساهمين في حملة الهند ضد الفساد هناك شركات ومؤسسات هندية تمتلك مصانع الألمنيوم، وتبني الموانئ والمناطق الاقتصادية الخاصة (SEZs)، وتدير أعمالاً عقارية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسيين الذين يشرفون على الإمبراطوريات المالية التي تصل قيمتها إلى آلاف الروبيات. ويجري حالياً

التحقيق مع بعضهم بتهمة الفساد وجرائم أخرى. لماذا هم جميعاً متحمسون جداً؟

تذكر: إنّ الحملة الخاصة بـ قانون جان لوكبال قد استجمعت قواها تقريباً في الوقت نفسه الذي ترافق مع الكشف المحرج لوثائق ويكليكس وسلسلة من عمليات الاحتيال، بما في ذلك عملية الاحتيال المتعلقة بطيف الاتصالات G2، التي يبدو أنّه قد تواطأ فيها شركات كبرى وكبار الصحفيين ووزراء الحكومة والسياسيين من الكونجرس إضافة إلى حزب بهاراتيا جاناتا بطرق مختلفة إذ سُحبت مليارات من الروبيات من الخزنة العامة. لأول مرة منذ سنوات، تعرض الصحفيون الذين يمارسون الضغط للعار، وبدا كما لو أنّ بعض القادة الرئيسيين في شركة كوربوريت إنديا يمكن أن ينتهي بهم المطاف في السجن. إنّّه توقيت مثالي لثورة الناس ضد الفساد. أم إنّّه لم يكن كذلك؟

في الوقت الذي تتراجع فيه الدولة عن واجباتها التقليدية وتتولى الشركات والمنظمات غير الحكومية وظائف الحكومة (إمدادات المياه، والكهرباء، والنقل، والاتصالات، والتعدين، والصحة، والتعليم)؛ في الوقت الذي تحاول فيه وسائل الإعلام المملوكة للشركات بقوتها ونفوذها المرعبين السيطرة على الذوق العام، قد يعتقد المرء أنّ هذه المؤسسات - الشركات ووسائل الإعلام والمنظمات غير الحكومية - ستُضمّن ضمن صلاحيات قانون لوكبال. بل على النقيض تماماً، فإنّ مشروع القانون المقترح يستثنيهم بالكامل.

الآن، من خلال الصراخ بصوت أعلى من أيّ شخص آخر، ومن خلال الدفع بحملة تهاجم موضوع السياسيين الأشرار وفساد الحكومة، فقد أنقذوا أنفسهم من العقوبة بذكاء شديد. والأسوأ من ذلك، أنّهم من خلال شيطنة الحكومة فقط، بنوا لأنفسهم منبراً يمكنهم من خلاله المطالبة بالمزيد انسحاب الدولة من الجو العام ولجولة ثانية من الإصلاحات - المزيد من الخصخصة، والمزيد من الوصول إلى البنية التحتية العامة والموارد الطبيعية في الهند. لن يمر وقت طويل قبل أن يصبح فساد الشركات قانونياً، وتُعاد تسميته إلى اسم "رسوم كسب التأييد".

هل سيعيش الثمانمئة والثلاثون مليون شخص على عشرين روبية في اليوم كفوائد حقيقية من تعزيز مجموعة من السياسات التي تؤدي إلى فقرهم ودفع هذا البلد إلى حرب أهلية؟

لقد نشأت هذه الأزمة المقرفة من الفشل الذريع لممثلي الديمقراطية في الهند، إذ تتكون المجالس التشريعية من مجرمين وسياسيين من أصحاب الملايين ممن توقفوا عن تمثيل شعبها. إذ لا توجد مؤسسة ديمقراطية واحدة متاحة للناس العاديين. لا تنخدع بالعلم الذي يخفق. إنّنا نشاهد الهند وهي مقسمة في حرب من أجل السلطة التي تكون مميتة مثل أيّ معركة يخوضها أمراء الحرب في أفغانستان، ولكن مع الكثير والكثير من المخاطر.

الفصل الثالث

الأموات يتكلمون

في الثالث والعشرين من شهر أيلول من عام ٢٠١١، في نحو الساعة الثالثة صباحاً، في غضون ساعات من وصوله إلى مطار دهلي، رُحِّل الصحفي الإذاعي الأمريكي ديفيد بارساميان. هذا الرجل الخطير الذي ينتج البرامج الإذاعية المجانية والمستقلة للراديو العام، لقد كان يزور الهند منذ أربعين عاماً، ويقوم بأشياء خطيرة مثل تعلم الأردية والعزف على السيتار. نشر مقابلات أدبية مع إدوارد سعيد، نعوم تشومسكي، هوارد زين، إجاز أحمد، وطارق علي. (حتى أنه يقوم بظهور إعلامي بوصفه محاوراً شاباً يرتدي البنطال من نوع بيل بوتوم في الفيلم الوثائقي للمخرج بيتر ويتونيك استناداً إلى كتاب تصنيع الموافقة للمؤلفين تشومسكي وإدوارد صاموئيل هيرمان). في رحلاته الأخيرة إلى الهند، أجرى سلسلة من المقابلات الإذاعية مع النشطاء والأكاديميين وصانعي الأفلام والصحفيين والكتّاب (بمن فيهم أنا). قاده عمل برسமான إلى تركيا وإيران وسورية ولبنان وباكستان. لم يُرحَّل قطّ من أيّ دولة من هذه الدول.

فلماذا تخشى أكبر ديمقراطية في العالم من عازف السيتار هذا، ومتحدث اللغة الأردية الذي يميل إلى اليسارية؟ إليكم كيف يشرح بارساميان الأمر بنفسه: "إنّ الأمر برمته يتعلق بكشمير. لقد أجريت أعمالاً

في جاركاند، تشاتيسجاره، البنغال الغربية، سدود نارمادا، انتحار المزارعين، مذبحه غوجارات، وقضية بيناياك سين. إلا أن كشمير موجودة في صميم اهتمامات الدولة الهندية. يجب عدم الطعن في الرواية الرسمية".

نقلت تقارير إخبارية عن ترحيله عن "مصادر" رسمية قولها إن بارساميان "انتهك معايير التأشيرة الخاصة به أثناء زيارته في ٢٠٠٩-٢٠١٠ من خلال الانغماس في العمل المهني في حين أنه كان يحمل تأشيرة سياحية".^٢ إن معايير التأشيرة في الهند تُعدُّ ثغرة مهمة في اهتمامات الحكومة وميولها. تحت الراية القديمة والمتهالكة للحرب على الإرهاب، أصدرت وزارة الداخلية مرسوماً يقتضي أن يُطلب من العلماء والأكاديميين المدعويين لحضور مؤتمرات أو ندوات الحصول على تصريح أمني قبل منحهم التأشيرات. ولا يُطلب ذلك من مدراء الشركات ورجال الأعمال. إذن، لا يُعد الشخص الذي يريد الاستثمار في سد أو بناء مصنع للصلب أو شراء منجم للبوكسيت خطراً أمنياً، في حين أن الباحث الذي قد يرغب في المشاركة في ندوة حول التهجير أو الطائفية، على سبيل المثال، أو ارتفاع سوء التغذية في اقتصاد يتسم بالعمولة يُعدُّ خطراً. ربما تخنن الإرهابيون الأجانب ذوو النوايا السيئة الآن أنهم أفضل حالاً عند ارتداء بدلات من نوع برادا، والتظاهر بأنهم يريدون شراء منجم بدلاً من ارتداء سروال قصير، وقولهم إنهم يريدون حضور ندوة. (قد يزعم البعض أن مشتري المناجم الذين يرتدون بدلات من ماركة براداهم الإرهابيون الحقيقيون).

لم يسافر ديفيد بارساميان إلى الهند لشراء منجم أو لحضور مؤتمر. لقد جاء للتو للتحديث مع الناس. كانت الشكوى ضده، بحسب "مصادر

رسمية"، هي أنه قدم تقارير عن أحداث في جامو وكشمير خلال زيارته الأخيرة للهند وأن هذه التقارير "لم تستند إلى حقائق". تذكر، إن بارساميان ليس مراسلاً، بل صحفياً يجري مقابلات إذاعية مطولة مع الناس، معظمهم من المنشقين عن المجتمعات التي يعيشون فيها. هل من غير القانوني للسائحين التحدث إلى الناس في البلدان التي يزورونها؟ هل سيكون من غير القانوني بالنسبة لي أن أسافر إلى الولايات المتحدة أو أوروبا وأن أكتب عن الأشخاص الذين التقيتهم، حتى لو كانت كتابتي "لا تستند إلى حقائق"؟ من الذي يقرر أيّ "الحقائق" صحيحة وأيها غير صحيح؟ هل كان سيجري ترحيل بارساميان إذا كانت المحادثات التي سجلها قد أشادت بالإقبال الكبير على انتخابات كشمير، بدلاً من الحديث عما تبدو عليه الحياة في أكثف احتلال عسكري في العالم؟ (نشر ستمئة ألف مسلح بفاعلية مقابل عشرة ملايين نسمة).^٣ أو إذا كانوا يتحدثون عن عمليات الإنقاذ التي قام بها الجيش في زلزال عام ٢٠٠٥ بدلاً من الانتفاضات الضخمة غير المسلحة التي حدثت في ثلاثة مواسم صيف متتالية؟ (والتي لم تحظ باهتمام إعلامي على مدار الساعة، ولم يفكر أحد في تسميته "الربيع الكشميري").

لم يكن ديفيد بارساميان أول شخص يجري ترحيله بسبب حساسيات الحكومة الهندية بشأن كشمير. فقد رُحِّل الأستاذ ريتشارد شايبورو، عالم الأنثروبولوجيا من سان فرانسيسكو، من مطار دلهي في كانون الأول من عام ٢٠١٠ دون أن يُبدي له أحد سبب ذلك. يعتقد معظمنا أن هذه الطريقة كانت أسلوب الحكومة في معاقبة شريكته أنغانا تشاترجي، وهي عضو مشارك لمحكمة الشعب الدولية لحقوق الإنسان والعدالة، والتي لفتت الانتباه الدولي أول مرة إلى وجود مقابر جماعية مجهولة الهوية في

كشمير. في وقت سابق من هذا العام، في الثامن والعشرين من شهر أيار، رُحِّل الناشط الجريء في الحقوق الديمقراطية الهندية غوتام نافلاخا إلى دلهي من مطار سريناغار. برر رئيس وزراء كشمير السابق، فاروق عبد الله، الترحيل، قائلاً إنَّ الكُتَّاب أمثالي أنا و غوتام نافلاخا لا يوجد لنا عمل مرتبط بدخول كشمير، لأنَّ "كشمير ليست للحرق" - مهما كان معنى ذلك). إنَّ كشمير في طور العزلة، فهي منفصلة عن العالم الخارجي بفعل طوقين مركزيين من حرس الحدود - في دلهي وكذلك في سريناغار - كما لو كانت دولة حرة بالفعل مع نظام تأشيرات خاص بها. إنها موسم مفتوح للحكومة والجيش، داخل حدودها بالطبع. تطور فن التحكم في الصحفيين الكشميريين والناس العاديين بمزيج مमित من الرشاوى والتهديدات والابتزاز ومجموعة كاملة من الأعمال الوحشية التي لا تُوصف والمصممة بعناية بشكل فني.

في حين أنَّ الحكومة تحاول إسكات الأحياء، بدأ الموتى في التحدث. كان التخطيط لرحلة إلى كشمير عدم مراعاة من بارساميان في الوقت الذي تعرضت فيه لجنة حقوق الإنسان في الولاية للعار أخيراً لقاء اعترافها رسمياً بوجود ٢٧٠٠ مقبرة مجهولة الهوية من ثلاث مقاطعات في كشمير. وتدفق تقارير من مناطق أخرى عن آلاف المقابر الأخرى. كان من البلادة أن تخرج المقابر مجهولة الهوية حكومة الهند في الوقت الذي تكون فيه الهند على موعد مع مراجعة سجلها أمام مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة. بصرف النظر عن ديفيد الخطير، فمن غيره تخاف منه أكبر ديمقراطية في العالم؟ هناك شاب يُدعى لينغرام كودوبي، وهو أديفاسي من دانتيوادا، تشاتيسجاره، اعتُقل في التاسع من شهر أيلول من عام ٢٠١١. تقول الشرطة إنَّها قبضت عليه متلبساً في أحد الأسواق بينما كان يُسَلِّم أموال

الحماية من شركة إيسار، شركة تعدين خام الحديد، إلى الحزب الهندي الشيوعي المحظور(الماوي). تقول عمته سوني سوري إن رجال شرطة يرتدون ملابس مدنية أمسكوه وهو يرتدي بوليرو أبيض من منزل جده في قرية بالنار. إنها الآن هاربة أيضاً.^٧ ومن المثير للاهتمام، حتى في رواية رجال الشرطة، فإنهم اعتقلوا لينغرام لكنهم سمحوا للماويين بالهروب. هذه إحدى أحدث تهمة من سلسلة من الاتهامات الغربية والشبيهة بالهلوسة التي وجهوها ضد لينغرام ثم سُحبت. كانت جريمته الحقيقية هي أنه الصحفي الوحيد الذي يتحدث لغة جوندي، اللغة المحلية، وأنه يعرف كيف يتصرف في مسارات الغابات البعيدة في دانتيوادا، تشاتيسجاره، منطقة الحرب الأخرى في الهند التي يجب ألا تأتي منها أي أخبار .

بعد الاتفاق على مساحات شاسعة من أوطان قبائل السكان الأصليين في وسط الهند لصالح شركات التعدين والبنية التحتية متعددة الجنسيات في سلسلة من مذكرات التفاهم السرية - في انتهاك تام للقانون والدستور - بدأت الحكومة في إغراق الغابات بمئات من الآلاف من قوات الأمن. وُصفت جميع أنواع المقاومة، المسلحة منها وغير المسلحة، بـ "الماوية". (إنّ العبارة المفضلة في كشمير هي "العناصر الجهادية"). فيما تتعاظم الحرب الأهلية وتزداد فتكاً، تم إحراق مئات القرى بالكامل. فرّ الآلاف من الأديفاسيين كلاجئين إلى الولايات المجاورة. يعيش مئات الآلاف حياة رعب مختبئين في الغابات. فرضت القوات شبه العسكرية حصاراً على الغابة. إنّ قيام شبكة من مخبري الشرطة بدوريات في أسواق القرية وتجوالهم بحثاً عن المؤن الضرورية والأدوية يمثل كابوساً للقرويين. هناك عدد لا يحصى من الأشخاص المجهولين في السجن بتهمة الفتنة وشن

الحرب على الدولة دون محامين للدفاع عنهم. قلما تصل أخبارٌ عنهم من تلك الغابات، ولا إحصاء لأعداد الجثث.

لذلك ليس من الصعب أن نرى لماذا يُشكل الشاب لينغرام كودوبي مثل هذا التهديد. قبل أن يتدرب ليصبح صحفياً، كان سائقاً في دانتيوادا. اعتقلته الشرطة في عام ٢٠٠٩ وصادرت سيارته الجيب. حُبس في مرحاض صغير مدة أربعين يوماً، إذ ضُغِط عليه ليصبح ضابط شرطة خاص (SPO) في الجيش الأهلي الذي ترعاه الحكومة، الذي يُسمى سلوى جودوم، والذي كان مكلفاً في ذلك الوقت بإجبار الناس على الفرار من قراهم. (أعلنت المحكمة العليا منذ ذلك الحين عدم دستورية سلوى جودوم).^٨ أفرجت الشرطة عن لينغرام بعد أن قدّم الناشط الغاندي هيماشو كومار التماساً للمثول أمام المحكمة.^٩ غير أنّ الشرطة قد اعتقلت بعدئذ خمسة أفراد آخرين من عائلته. هاجمت قريته وحذرت القرويين من إيوائه. هرب لينغرام إلى دهلي في نهاية المطاف، إذ عمل أصدقاؤه ومُحبو الخير له على حصوله على القبول في كلية الصحافة. سافر إلى دانتيوادا في نيسان من عام ٢٠١٠، ورافقه إلى دهلي شهود وضحايا همجية سلوى جودوم والشرطة والقوات شبه العسكرية مما أمكنهم من تقديم شهادة في محكمة الشعب المستقلة. (انتقد لينغرام في شهادته الماويين بشدة أيضاً).^{١٠}

لم يردع ذلك شرطة تشهاتيسجاره. في الثاني من شهر تموز عام ٢٠١٠، ألقت شرطة أندرا براديش القبض على الزعيم الماوي الكبير الرفيق آزاد، الناطق الرسمي باسم الحزب الماوي، وإعدامه.^{١١} أعلن نائب المفتش العام كالوري في شرطة تشهاتيسجاره في مؤتمر صحفي أنّ الحزب الماوي قد انتخب لينغرام كودوبي لتولي دور الرفيق آزاد. (كان الأمر أشبه باتهام تلميذ صغير في عام ١٩٣٦ يُدعى ينان بأنه تشوان لاي). قوبلت التهمة

بالسخرية إلى درجة دفعت الشرطة إلى سحبها.^{١٢} كما اتهموا لينغرام أيضاً بأنه العقل المدبر لهجوم الماويين على أحد المُشرّعين في الكونغرس في دانتيوادا، ولكن ربما لأتّهم جعلوا أنفسهم بالفعل يبدون في غاية الحماسة والانتقام، قرروا أن ينتظروا حتى تأتي الفرصة المناسبة.

بقي لينغرام في دهلي، وأكمل دراسته، وحصل على الدبلوم في الصحافة. أحرقت القوات شبه العسكرية في شهر آذار من عام ٢٠١١ ثلاث قرى في دانتيوادا - وهي تادمتلا، وتيامبورام، ومورابالي.^{١٣} وألقت حكومة تشهاتيسجاره باللوم على الماويين. وأسندت المحكمة العليا التحقيق إلى هيئة التحقيق المركزية. عاد لينغرام إلى دانتيوادا بكاميرا فيديو وقام بمسير من قرية إلى قرية للتوثيق لشهادات حية من القرويين الذين اتهموا الشرطة. (يمكنك مشاهدة بعضها على موقع يوتيوب).^{١٤} بقيامه بذلك، جعل من نفسه أحد أكثر الرجال المطلوبين في دانتيوادا. تمكنت الشرطة أخيراً من الوصول إليه في التاسع من شهر أيلول.

انضم لينغرام إلى مجموعة رائعة من جامعي الأخبار المزعجين وموزعيها في تشهاتيسجاره. كان الطبيب الشهير بيناياك سين من أوائل الأشخاص الذين تم إسكاتهم، وهو أول من دق ناقوس الخطر بشأن جرائم سلوى جودوم منذ عام ٢٠٠٥. أُلقي القبض عليه في عام ٢٠٠٧، بتهمة أنه ماوي، وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة. بعد سنوات من السّجن، خرج بكفالة الآن.^{١٥} تبع العديد من الأشخاص بيناياك سين إلى السجن -بها في ذلك بيوش جوها والمخرج أجاي تي جي حيث اتّهما كلاهما بأنّهما من

الماويين.^{١٦} أدت هذه الاعتقالات إلى إضعاف مجتمع النشطاء في تشهاتيسجاره، ولكنها لم توقف بعضهم من الاستمرار في القيام بما كانوا يفعلونه. عمل كوبا كونجام مع معبد فانسفاسي شيتنا التابع لهيانشو كومار، وقاموا بالضبط بفعل ما حاول لينغرام فعله بعد ذلك بفترة طويلة - وهو السفر إلى القرى النائية، وجلب الأخبار، والحرص بتوثيق الرعب الذي كان يتكشف. (لقد كان دليلي الأول في الغابة قرى دانتيوادا.) لقد وجدت الكثير من هذه الوثائق طريقها إلى القضايا القانونية التي أثبتت أنها مصدر قلق وعدم ارتياح لحكومة تشهاتيسجاره.^{١٧} هدمت حكومة تشهاتيسجاره معبد فانسفاسي شيتنا في شهر أيار من عام ٢٠٠٩، الذي كان آخر ملجأ محايد للصحفيين والكتّاب والأكاديميين الذين كانوا يسافرون إلى دانتيوادا. وفي كانون الأول من عام ٢٠٠٩، في اليوم العالمي لحقوق الانسان، اعتُقل كوبا. واتهم بالتواطؤ مع الماويين في قتل رجل وخطف آخر.

بدأت القضية المرفوعة ضد كوبا في الانهيار إذ تبرأ شهود الشرطة، بمن فيهم الرجل الذي اختُطف، من الأقوال التي زُعم أنهم أدلوا بها للشرطة.^{١٨} في الواقع، لا يهم الأمر، لأننا جميعنا على علم بأن العملية في الهند عبارة عن عقاب. سيستغرق الأمر سنوات حتى يثبت كوبا براءته، وفي ذلك الوقت تأمل الإدارة أن يكون الاعتقال قد أدى الغرض منه. كما جرى اعتقال الكثير من القرويين الذين شجعهم كوبا على تقديم شكاوى ضد الشرطة. بعضهم في السجن. أُجبر آخرون على العيش في معسكرات على جانب الطريق يديرها ضباط شرطة خاصة (SPOs). ويشمل ذلك العديد من النساء اللاتي ارتكبن جريمة اتّهن اغتصبن. بعد مدة وجيزة من اعتقال

كوباً، تم نفي هيماشو كومار خارج دانتيوادا. أُلقي القبض على ناشط آخر من جماعة الأديفاسي في شهر أيلول من عام ٢٠١٠، وهو كارتام جوغا. كانت جريمته هي تقديم التماس إلى المحكمة العليا في عام ٢٠٠٧ حول تفشي انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبتها ميليشيا سلوى جودوم. كان متهماً في شهر آذار من عام ٢٠١٠ بالتواطؤ مع الماويين في قتل ستة وسبعين من أفراد الشرطة الاحتياطية المركزية في تادمتلا. كان كارتام جوغا عضواً في الحزب الشيوعي الهندي (CPI) الذي كانت تربطه بالماويين علاقة متوترة، إن لم تكن عدائية. وصفته منظمة العفو الدولية بأنه من سجناء الرأي.^{١٩} في غضون ذلك، تتواصل الاعتقالات بخطا ثابتة. إنَّ إلقاء نظرة عابرة إلى تقارير المعلومات الأولية (FIRs) التي قدمتها الشرطة تعطي فكرة واضحة تماماً عن طريقة القيام بالأعمال المدمرة لـ "عملية قانونية" في دانتيوادا. إنَّ نصوص الكثير من تقارير المعلومات الأولية متطابقة تماماً. أُدرج اسم المتهم والتاريخ وطبيعة الجريمة وأسماء الشهود في قالب غبي. لا أحد يتحقق من الأمر. إنَّ معظم المتورطين، سواء كانوا سجناء أم شهوداً، لا يستطيعون القراءة أو الكتابة.

سوف يبدأ الموتى في الكلام، في يوم من الأيام، في دانتيوادا أيضاً. ولن يقتصر الأمر على البشر الأموات فحسب، بل سوف تُصر الأرض الميتة والأنهار الميتة والجبال الميتة والمخلوقات الميتة في الغابات الميتة على الاستماع. في غضون ذلك، تستمر الحياة. أثناء المراقبة المتطفلة، ومراقبة الإنترنت، والتنصت على الهاتف وتضييق الخناق على المتحدّثين، يصبح الحديث أكثر كآبة مع مرور كلِّ يوم، ومن الغريب كيف تصبح الهند الوجهة

التي تحلم بها المهرجانات الأدبية. هناك نحو عشرة من المهرجانات المزمع إقامتها خلال الأشهر القليلة المقبلة. تقوم الشركات بتمويل بعض منها، تلك الشركات التي أطلقت الشرطة العنان لنظام الإرهاب نيابة عنها. كان من المقرر أن يكون مهرجان حرود الأدبي في سريناغار هو الأحدث والأكثر إثارة (تم تأجيله في الوقت الحالي). "مع تغير لون أوراق الخريف، سوف يتناغم وادي كشمير مع أصوات الشعر والحوار الأدبي والنقاش والمناقشات. . . " أعلن منظموه أنه حدث "غير سياسي" لكنهم لم يذكروا كيف أن الحكام أو الخاضعين للاحتلال العسكري الوحشي الذين أودوا بحياة عشرات الآلاف من الأرواح وأثكلوا الآلاف من النساء والأطفال وشوهوا مئات الآلاف من الناس في غرف التعذيب "غير سياسيين".

أتساءل هل سيأتي الضيوف الأدبيون بتأشيرات سياحية؟ هل سيكون هناك قسمان منفصلان لسريناغار ودلهي؟ هل سيحتاجون إلى تصريح أمني؟ هل ستتقل الكشميرية التي تتحدث بصراحة من المهرجان مباشرة إلى مركز الاستجواب، أم سيُسمح لها بالعودة إلى المنزل وتغيير ملابسها وجمع أغراضها؟ (إنني فظة هنا فقط، فأنا أعلم أن الأمر دقيق أكثر من ذلك).

يساعد الضجيج الاحتفالي لهذه الحرية الزائفة على إسكات صوت خطوات الأشخاص المطرودين في ممرات المطار بينما يُرحّلون قسراً على الطائرات المغادرة، كما يساعد على كتم طقطقة الأصفاد التي تُقفل حول معصمين قويين ودافئتين وجلجلة أبواب السجن المعدنية الباردة.

جرى استنفاد الأكسجين تدريجياً في رتئينا. ربما حان الوقت لاستخدام ما تبقى من نفس في أجسادنا لنقول: افتحوا البوابات الدموية.



الهيئة العامة
السنورية للكتاب



الهيئة العامة
السنورية للكتاب

الفصل الرابع ثمار فتنة كشمير

قبل أسبوع من انتخابه في عام ٢٠٠٨، قال الرئيس أوباما إنَّ حل النزاع حول صراع كشمير من أجل تقرير المصير سيكون من بين "مهامه الحاسمة" ^١ - وهو الصراع الذي أدى إلى ثلاث حروب بين الهند وباكستان منذ عام ١٩٤٧. وقد قوبلت ملاحظاته بالذعر في الهند، ولم يقل شيئاً تقريباً عن كشمير منذ ذلك الحين.

غير أنَّه في يوم الاثنين، الثامن من تشرين الثاني من عام ٢٠١٠، أثناء زيارته إلى هنا، أسعد مستضيفيه كثيراً بقوله إنَّ الولايات المتحدة لن تتدخل في كشمير ويعلن دعمه لمقعد الهند في مجلس الأمن الدولي. ^٢ في حين أنَّه تحدث ببلاغة عن تهديدات الإرهاب، إلَّا أنَّه التزم الصمت بشأن انتهاكات حقوق الإنسان في كشمير.

إن كان أوباما سيغير موقفه بشأن كشمير مرة أخرى، فهذا يعتمد على عدة عوامل: كيف تسير الحرب في أفغانستان، ومقدار المساعدة التي تحتاج إليها الولايات المتحدة من باكستان، وما إذا كانت الحكومة الهندية ستذهب لشراء الطائرات هذا الشتاء. (قد يضمن صمت الرئيس طلب شراء عشر طائرات من طراز بوينغ سي-١٧ غلوب ماستر ٣ بقيمة ٥,٨ مليار دولار،

من بين صفقات تجارية ضخمة أخرى قيد الإعداد). ولكن صمت أوباما أو تدخله لن يجعل الناس في كشمير يلقون الحجارة من أيديهم.

كنت في كشمير قبل عشرة أيام، في ذلك الوادي الجميل على الحدود الباكستانية، الذي كان موطناً لثلاث حضارات عظيمة -الإسلامية والهندوسية والبوذية. إنه واد الأسطورة والتاريخ. يعتقد البعض أن يسوع مات هناك، والبعض الآخر يعتقد أن موسى ذهب إلى هناك ليجد القبيلة الضائعة. يتعبد الملايين في ضريح حضرة بال، حيث يتم عرض شعرة من شعر النبي محمد على المؤمنين بضعة أيام في السنة.

إن كشمير، الواقعة حالياً بين نفوذ الإسلام المسلح في باكستان وأفغانستان، والمصالح الأمريكية في المنطقة، والقومية الهندية (التي أصبحت عدوانية و "هندوسية" على نحو متزايد)، تُعد نقطة اشتعال نووي. يحرسها أكثر من ٥٠٠٠٠٠٠ جندي، وأصبحت أكثر منطقة عسكرية في العالم.

كان الجو متوتراً على الطريق السريع بين سريناغار عاصمة كشمير، ووجهتي، بلدة التفاح الصغيرة شوبيان في الجنوب. تم نشر مجموعات من الجنود على طول الطريق السريع، وفي البساتين والحقول، وعلى أسطح المنازل، والمتاجر الخارجية في ساحات السوق الصغيرة. على الرغم من حظر التجول الذي دام شهوراً، خرج "رماة الحجارة" من جديد، أولئك الذين يطالبون بـ "آزادي" (الحرية)، والذين ألهمتهم الانتفاضة الفلسطينية. كانت بعض امتدادات الطريق السريع مغطاة بكثير من هذه الحجارة بحيث إنك في حاجة إلى سيارة دفع رباعي لتسير فوقها.

لحسن الحظ، كان الأصدقاء الذين كنتُ برقتهم يعرفون طرقاً بديلة أسفل الممرات الخلفية وطرق القرية. منحنتني "الطريق الطويلة" الوقت للاستماع إلى قصصهم عن انتفاضة هذا العام. أخبرنا أصغرهم، وكان لا يزال صبيًا، أنه عندما أُلقي القبض على ثلاثة من أصدقائه لإلقاءهم الحجارة، نزع رجال الشرطة أظافرهم - كل الأظافر في اليدين كليهما.

على مدى ثلاث سنوات متتالية الآن، كان الكشميريون في الشوارع يحتجّون على ما يرون أنه الاحتلال الهندي العنيف. بيد أن الانتفاضة المسلحة ضد الحكومة الهندية التي بدأت بدعم من باكستان قبل عشرين عاماً بدأت بالتراجع. قدّر الجيش الهندي أن هنالك أقل من خمسمئة مقاتل يعملون في وادي كشمير اليوم. لقد خلفت الحرب سبعين ألف قتيل وعشرات الآلاف من المنهكين بسبب التعذيب. لقد "اختفى" آلاف عديدة. فرّ أكثر من ٢٠٠ ألف كشميري هندوسي من الوادي. على الرغم من انخفاض عدد المسلحين، إلا أن عدد الجنود الهنود المنتشرين لم ينقص.

بيد أنه يجب عدم الخلط بين الهيمنة العسكرية للهند والانتصار السياسي. إنّ الناس العاديين الذين لا يتسلحون بشيء سوى سخطهم انتفضوا ضد قوات الأمن الهندية. جيل كامل من الشباب الذين نشؤوا في شبكة من نقاط التفتيش، والمخابئ، ومعسكرات الجيش، ومراكز الاستجواب، ممن قضاوا طفولتهم في مشاهدة عمليات "الاعتقال والقتل"، وتشبّع خيالهم بالجواسيس والمخبرين، و"المسلحين المجهولين"، ونشطاء المخابرات والانتخابات المزورة، فقدوا صبرهم وكذلك خوفهم. لقد واجه شباب كشمير الجنود المسلحين بشجاعة شبه جنونية واستعادوا شوارعهم.

منذ نيسان، عندما قتل الجيش ثلاثة مدنيين ثم ادّعوا بأنهم "إرهابيون"، جعل رماة حجارة مُقنَّعون، معظمهم من الطلاب، عجلة الحياة تتوقف في كشمير. وردت الحكومة الهندية بالرصاص، وحظر التجول، والمراقبة. قُتل ١١١ شخصاً في الأشهر القليلة الماضية فقط، معظمهم من المراهقين؛ كما جرح أكثر من ثلاثة آلاف شخص واعتقل ألف. بيد أن الشباب ما زالوا يخرجون ويرشقون الحجارة. لا يبدو أن لديهم قادة أو أنهم ينتمون إلى حزب سياسي. إنهم يُمثلون أنفسهم. وفجأة لا يعرف ثاني أكبر جيش نظامي في العالم ماذا يفعل بالضبط. لا تعرف الحكومة الهندية مع من تتفاوض. ويُدرك كثير من الهنود بالتدريج أنهم تعرضوا للكذب على مدى عقود. وفجأة يبدو الإجماع الذي كان صلباً بشأن كشمير هشاً بعض الشيء.

وقعت في مشكلة صغيرة صبيحة اليوم الذي توجهنا فيه إلى شوبيان. قلتُ قبل أيام قليلة، في اجتماع عام في دلهي، إن كشمير منطقة متنازع عليها، وعلى عكس مزاعم الحكومة الهندية، لا يمكن وصفها بأنها جزء "لا يتجزأ" من الهند. طالب سياسيون ومذيعو الأخبار الغاضبون باعتقالي بتهمة التحريض على الفتنة. قامت الحكومة التي تخاف أن يُنظر إليها على أنها "لينة" بإصدار بيانات تهديدية، وتصاعد الموقف. يوماً بعد يوم، في أخبار وقت الذروة، نعتوني بالخائنة، والإرهابية من ذوي الياقات البيضاء، والعديد من الأسماء الأخرى المخصصة للنساء المتمرديات، ولكنني لم أستطع أن أشعر بالندم على ما قلته في دلهي، أثناء جلوسي في تلك السيارة على الطريق المؤدي إلى شوبيان، وأنا أستمع إلى أصدقائي.

كنا في طريقنا لزيارة رجل يدعى شاكيل أحمد أهانغار. كان في اليوم السابق قد وصل إلى سريناغار، حيث كنت أقيم، للضغط علي، بإلحاح يصعب تجاهله، لزيارة شوبيان.

التقيت شاكيل للمرة الأولى في حزيران عام ٢٠٠٩، بعد أسابيع قليلة فقط العثور على جثتي نيلوفر، زوجته البالغة من العمر اثنين وعشرين عاماً، وأخته آسيا البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، ممدتَيْن على بُعد ألف ياردة في جدول ضحل في منطقة شديدة الأمن -منطقة مضاعة بين معسكرات الجيش وشرطة الولاية. وأكد تقرير التشريح الأول الاغتصاب والقتل، ولكن بعد ذلك بدأ النظام بالتدخل. وألغت تقارير التشريح الجديدة النتائج الأولية، وبعد العمل القبيح المتمثل في إخراج الجثث من القبر، تم استبعاد الاغتصاب. وتمّ إعلان أنّ سبب الوفاة في الحالتين هو الغرق. ٣ أغلقت الاحتجاجات شوبيان لمدة سبعة وأربعين يوماً، وعصف الوادي بالغضب لعدة أشهر. بدا الأمر في نهاية المطاف وكأنّ الحكومة الهندية تمكنت من نزع فتيل الأزمة. إلا أنّ الغضب من القتل ضاعف من حدة انتفاضة هذا العام.

أراد شاكيل منّا زيارته في شوبيان لأنّ الشرطة قد هدّته إن تحدث علانية، وأعرب عن أمله أن تُبين زيارتنا أنّ الناس حتى خارج كشمير كانوا يبحثون عنه، وأنه ليس وحيداً.

كان موسم التفاح في كشمير، وعندما اقتربنا من شوبيان، كان بإمكاننا رؤية العائلات في بساتينهم وهم منشغلون بتعبئة التفاح في صناديق خشبية في ضوء الظهيرة المائلت قلقتُ بشأن طفلين صغيرين أحمرَي الخدين بدّيا شبيهين جداً بالتفاح نفسه من أن يتم تعبئتهما في الصناديق عن طريق الخطأ. لقد سبقتنا أخبار زيارتنا، وكان هناك مجموعة صغيرة من الناس ينتظرون على الطريق.

يقع منزل شاكيل على حافة المقبرة حيث دُفنت زوجته وأخته. كان الظلام قد حلّ عند وصولنا، وكان هناك انقطاع في التيار الكهربائي. جلسنا في نصف دائرة حول مصباح واستمعنا إليه وهو يروي القصة التي عرفها جميعنا جيداً. دخل أشخاص آخرون الغرفة. ورُويت قصص فظيعة أخرى، قصصٌ لم ترد في تقارير حقوق الإنسان، وقصصٌ حول ما يحدث للنساء اللواتي يعشن في القرى النائية حيث يوجد جنود أكثر من المدنيين. تقلب ابن شاكيل الصغير في الظلام متحركاً من حضن إلى حضن. قال شاكيل أكثر من مرّة: "سرعان ما سيصبح كبيراً بما يكفي لفهم ما حصل لأمه".

عندما نهضنا للمغادرة تماماً، وصل رسول ليقول إنّ والد زوجة شاكيل -والد نيلوفر- يتوقع مناّ زيارته في منزله. أرسلنا له اعتذارنا. فقد كان الوقت متأخراً، وإذا بقينا لفترة أطول لن تكون عودتنا آمنة.

بعد دقائق من وداع بعضنا لبعض وحشرنا لأنفسنا في السيارة، رن هاتف أحد الأصدقاء. جاء زميله الصحفي بأخبار لي: "تقوم الشرطة بطباعة المذكرة. سوف يُقبض عليها الليلة". قدنا سيارتنا في صمت لفترة من الوقت، متجاوزة شاحنة مُحمّلة بالتفاح تلو أخرى. "هذا غير مرجح"، قال صديقي في نهاية المطاف: "إنها مجرد عمليات نفسية".

لكن بعد ذلك، مع زيادة سرعتنا على الطريق السريع، تجاوزتنا سيارة مليئة بالرجال يلوحون لنا لتخفيف السرعة. طلب رجالنا على دراجة نارية من

سائقنا التوقف. جهزت نفسي لما كان سيحصل. ظهر رجل عند نافذة السيارة. كان لديه عينان تميّلان إلى أن تكونا بلون الزمرد ولحية سوداء يشوبها الشيب يصل طولها إلى أسفل صدره. قدم نفسه على أنه عبد الحي، والد نيلوفر المقتولة". قال: "كيف لي أن أسمح لك بالرحيل دون تفاحك؟". بدأ السائقون في تحميل صندوقين من التفاح في الجزء الخلفي من سيارتنا. ثم مدّ عبد الحي يده في جيب عباءته البنية البالية وأخرج بيضة. وضعها في كفي وثني أصابعي فوقها. ثم وضع أخرى في يدي الأخرى. كان البيض لا يزال دافئاً. قال: "ليباركك الله ويحفظك"، وابتعد في الظلام. هل من مكافأة أكبر يمكن أن يريدها الكاتب؟

لم يتم القبض عليّ في تلك الليلة. بدلاً من ذلك، جلب المسؤولون استيائهم من الأوباش فيما سيصبح ملف إستراتيجية سياسية مشتركة. بعد أيام قليلة من عودتي إلى المنزل، قام الجناح النسائي لحزب بهاراتيا جاناتا (جناح المعارضة القومية الهندوسية اليميني) بمظاهرة خارج منزلي، يدعون فيها إلى القبض عليّ. وصلت عربات التلفاز مسبقاً لبث الحدث مباشرة. قامت باجرانج دال القاتلة، وهي جماعة هندوسية متشددة قامت في 2002 بقيادة هجمات ضد المسلمين في ولاية غوجارات التي قُتل فيها أكثر من ألف شخص، بإعلان أنهم سوف يُلقنوني درساً بكل الوسائل التي يمتلكونها، بما في ذلك توجيه تهمة جنائية ضدي في محاكم مختلفة في جميع أنحاء البلاد.

يبدو أن القوميين الهنود والحكومة يعتقدون أن بإمكانهم تحصين فكرتهم عن الهند المتجددة بدمج البلطجة وطائرات بوينج. لكنهم لا يفهمون القوة المتمردة للبيض المسلوق الدافئ.



الهيئة العامة
الاسبورية للكتاب

الفصل الخامس

يوم مثالي للديمقراطية

ألم يكن كذلك؟ أقصد البارحة. أعلن الربيع عن نفسه في دلهي. كانت الشمس قد أشرقت، وأخذ القانون مجراه. قبل الإفطار مباشرة، كان أفضل غورو المتهم الرئيسي في هجوم البرلمان عام ٢٠٠١، الذي سُنتق سراً ودُفنت جثته في سجن تيهار. ^١ هل دُفن بجوار مقبول بت؟ (الكشميري الآخر الذي تم شنقه في سجن تيهار عام ١٩٨٤. سيحيي الكشميريون تلك الذكرى غداً). لم تُبلِّغ زوجة أفضل وابنه. قال وزير الداخلية للصحافة: "أبلغت السلطات الأسرة من خلال البريد السريع والبريد المسجل". "أخبر المدير العام لشرطة J&K بالتحقق مما إذا كانوا قد حصلوا عليها أم لا". ^٢ إنه ليس أمراً مهماً، فما هم سوى عائلة إرهابي كشميري.

اجتمعت الأمة في لحظة وحدة نادرة، أو على الأقل اجتمعت أحزابها السياسية الرئيسية، الكونغرس، وحزب بهاراتيا جاناتا، وحزب المؤتمر الوطني، (باستثناء بعض المشاحنات حول "تأخير" و "توقيت") للاحتفال معاً بانتصار سيادة القانون. أطلق فيلم "ضمير الأمة" The Conscience of "the Nation"، الذي يبيث على الهواء مباشرة من استوديوهات التلفاز هذه الأيام، العنان لفكره الجمعي علينا - المزيج المعتاد من عاطفة بابوية وتفهم

للحقائق. على الرغم من أنّ الرجل مات ورحل، بدوا وكأّتهم في حاجة بعضهم إلى بعض لتشجيع بعضهم مثل الجبناء الذين يصطادون في مجموعات. ربما لأنّهم يعرفون في قرارة أنفسهم أنّهم تواطأوا جميعاً على فعل شيء خاطئ للغاية. ما هي الحقائق؟

في الثالث عشر من كانون الأول من عام ٢٠٠١، اقتحم خمسة مسلحين بوابات مبنى البرلمان في سيارة أمباسادور بيضاء مزودة بعبوة ناسفة. عندما جرى اعتراضهم قفزوا من السيارة وفتحوا النار. قتلوا ثمانية أفراد أمن وبستانيّاً. في تبادل إطلاق النار الذي تلا ذلك، قُتل جميع المهاجمين الخمسة. في إحدى النسخ العديدة من نسخ الاعترافات التي أدلى بها أفضل غورو أثناء احتجازه لدى الشرطة، قال إنّ الرجال هم محمد ورنّا ورجا وحمزة وحيدر. هذا كل ما نعرفه عنهم حتى اليوم. قال لال كريشنا أدفاني، وزير الداخلية آنذاك، إنهم "يشبهون الباكستانيين". (يجب أن يعرف كيف يبدو الباكستانيون، أليس كذلك؟ كونه هو نفسه من الشعب السندي). واستناداً إلى اعتراف أفضل فقط (الذي ألغته المحكمة العليا لاحقاً، مشيرة إلى "ثغرات" و "انتهاكات للإجراءات الوقائية")، استدعت حكومة الهند سفيرها من باكستان وحشدت نصف مليون جندي إلى الحدود الباكستانية. كان هناك حديث عن حرب نووية. أصدرت السفارات الأجنبية إرشادات السفر وأجلت موظفيها من دلهي. استمرت المواجهة لأشهر وكلفت الهند آلاف الروبيات.

في ١٤ من كانون الأول من عام ٢٠٠١، ادّعت خلية شرطة دلهي الخاصة أنّها حلّت القضية. في ١٥ كانون الأول، اعتقلت "العقل المدبر"،

البروفيسور سيد عبد الرحمن جيلاني، في دهلي وشوكت غورو وأفضل غورو في سوق الفاكهة في سريناغار. ^٣ وبعد ذلك اعتقلوا زوجة شوكت، أفسان غورو. نشرت وسائل الإعلام بحماس رواية الخلية الخاصة. كانت هذه بعض العناوين الرئيسية: "مُحاضر في جامعة دهلي كان محور خطة الإرهاب"، "أستاذ جامعي قاد فدائيين"، "كان السيد يُلقي محاضرات عن الإرهاب في وقت الفراغ." بثت قناة Zee TV "الدراما الوثائقية" بعنوان الثالث عشر من كانون الأول، وهو برنامج تجديدي يدّعي بأنه "الحقيقة المستندة إلى لائحة اتهام الشرطة". (إذا كانت رواية الشرطة هي الحقيقة، فلماذا إذن توجد محاكم؟) ثم أعرب رئيس الوزراء فاجبايي ولال كريشنا أدفاني عن تقديرهما للفيلم علانية. ورفضت المحكمة العليا الإبقاء على العرض قائلة إن الإعلام لن يؤثر في القضية. جرى بث الفيلم قبل أيام قليلة فقط من حكم المحكمة السريع على أفضل وشوكت وجيلاني بالإعدام. وفي وقت لاحق، برأت المحكمة العليا "العقل المدبر" جيلاني وأفسان غورو. أيدت المحكمة العليا حكم البراءة. إلا أنه في الخامس من شهر آب من عام ٢٠٠٥، حكمت على محمد أفضل بالسجن المؤبد ثلاث مرات ومضاعفة حكم الإعدام.

على عكس الأكاذيب التي أطلقها بعض كبار الصحفيين الذين كانوا يعرفون جيداً أنّ أفضل غورو لم يكن من "الإرهابيين الذين اقتحموا مبنى البرلمان في ١٣ من كانون الأول من عام ٢٠٠١"، ولم يكن من بين أولئك الذين "فتحوا النار على أفراد الأمن، مما أسفر على ما يبدو عن مقتل ثلاثة من الستة الذين لقوا حتفهم". (كان ذلك في صحيفة بايونير Pioneer، في

السابع من شهر تشرين الأول من عام ٢٠٠٦ لمدير تحريرها شانندان ميترا عضو راجيا ساها النائب عن حزب بهاراتيا)، حتى لائحة اتهام الشرطة لا تتهمه بذلك. ينص حكم المحكمة العليا على أن الأدلة ظرفية: "كما هو الحال مع معظم المؤامرات، قد لا يوجد دليل مباشر يرقى إلى مستوى التآمر الجنائي". ولكن بعد ذلك يتابع القول: "إن الحادث الذي أسفر عن خسائر فادحة هز الأمة كلها ولن يتم إرضاء الضمير الجماعي للمجتمع إلا إذا حُكم بالإعدام على الجاني".

من الذي صاغ ضميرنا الجماعي في قضية الهجوم على البرلمان؟ هل يمكن أن تكون الحقائق التي جمعناها في الصحف؟ والأفلام التي شاهدناها على التلفاز؟

هناك من سيجادل بأن واقع تبرئة المحاكم لسيد عبد الرحمن جيلاني وإدانة أفضل تثبت أن المحاكمة كانت حرة ونزيهة. هل كانت كذلك؟

بدأت المحاكمة في المحكمة العاجلة في أيار من عام ٢٠٠٢. وكان العالم لا يزال مضطرباً بسبب جنون ما بعد الحادي عشر من أيلول. كانت حكومة الولايات المتحدة تتباهى مسبقاً بسبب "انتصارها" في أفغانستان. كانت مذبحه غوجارات مستمرة. وفي قضية الهجوم على البرلمان، كان القانون يأخذ مجراه الخاص بالفعل. في المرحلة الأكثر أهمية في القضية الجنائية، عند تقديم الأدلة، وعند استجواب الشهود، عندما وُضعت الأسس والبراهين - في محكمة الولاية والمحكمة العليا، يمكنك فقط مناقشة النقاط القانونية، ولا يمكنك تقديم أدلة جديدة - لم يكن هناك محام لأفضل غورو، المحبوس في زنزانة انفرادية شديدة الحراسة. لم يقيم المحامي

المتدئ الذي عينته المحكمة بزيارة موكله ولو لمرة واحدة في السجن؛ لم يستدع أيّ شهود في الدفاع عن أفضل ولم يستجوب شهود الادعاء. وأعرب القاضي عن عدم قدرته على فعل أيّ شيء حيال الموقف. حتى مع ذلك، من البداية وحتى النهاية، انهارت القضية. ما يلي أمثلة قليلة من بين أمثلة كثيرة:

كيف وصلت الشرطة إلى "أفضل"؟ قالوا إنّ سيد عبد الرحمن جيلاني قادم إليه. إلا أنّ سجلات المحكمة تُظهر أنّ مذكرة اعتقال أفضل صدرت قبل أن يمسكوا بجيلاني. وقد وصفت محكمة الولاية هذا بأنه "تناقض مادي" لكنها تركته كما هو.

إنّ أكثر الأدلة إدانة ضد أفضل كانت هاتفياً خلويّاً وجهاز حاسوب محمول صودرا وقت الاعتقال. ووقع شقيق جيلاني، واسمه بسم الله، على مذكرات الاعتقال في دهلي. ووقع على مذكرات الاحتجاز رجان من شرطة جامو وكشمير، أحدهما معذب سابق يعرفه أفضل فيما مضى باعتباره "مسليحاً" مستسلماً. لم يُختم الحاسوب والهاتف الخلوي، كما هو من المفترض أن تُختم الأدلة. خلال المحاكمة تبين أنّه جرى الوصول إلى القرص الصلب للحاسب المحمول بعد الاعتقال. كان يحتوي فقط على تصاريح وزارة الداخلية المزورة وبطاقات الهوية المزورة التي استخدمها "الإرهابيون" للوصول إلى البرلمان. ومقطع فيديو من قناة Zee عن مبنى البرلمان. لذلك وفقاً للشرطة، حذف أفضل جميع المعلومات باستثناء المعلومات الأكثر إدانة، وكان مسرعاً لتسليمها إلى غازي بابا، الذي وصفته لائحة الاتهام بأنّه رئيس العمليات.

تعرف شاهد النيابة، كمال كيشور، على أفضل وأخبر المحكمة أنه كان قد باع بطاقة SIM المهمة التي كانت تربط جميع المتهمين في القضية بعضهم البعض في ٤ كانون الأول من عام ٢٠٠١. إلا أن سجلات المكالمات الخاصة بالادعاء أظهرت أن بطاقة SIM كانت فعالة في الواقع منذ السادس من تشرين الثاني عام ٢٠٠١.

يتكرر ويستمر، تراكم الأكاذيب والأدلة الملفقة. وتقوم المحاكم بتسجيلها، لكن من أجل إيلاهم، لم تقم الشرطة بأكثر من ضربة لطيفة على مفاصل أصابعهم. لا شيء آخر.

ثم إن هناك الخلفية الدرامية. مثل معظم المسلحين المستسلمين، كان من السهل الوصول إلى أفضل في كشمير -ضحية تعذيب وابتزاز سلب. أما في المخطط الأكبر للأمر كان نكرة. إن أي شخص مهتم حقاً بحل لغز هجوم البرلمان كان سيتبع المسار الكثيف للأدلة المعروضة. لم يفعل أحد ذلك، مما يضمن بقاء منفذي المؤامرة الحقيقيين مجهولي الهوية ولا يتم التحقيق معهم.

الآن بعد أن تمّ شنق أفضل غورو، أمل أن يكون ضميرنا الجماعي راضياً. أم إننا لا نزال نرى الجانب الإيجابي من سفك دمنا؟

الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل السادس

تداعيات شنق أفضل غورو

ماذا ستكون التداعيات السياسية للشنق المفاجئ والسري لمحمد أفضل غورو المتهم الرئيسي في هجوم البرلمان عام ٢٠٠١؟ هل من أحد يعرف ذلك؟

تنص المذكرة، المكتوبة بيروقراطية قاسية، التي تحتوي على خطأ إملائي بشكل مُهين في كل اسم فيها، والتي أرسلها مشرف السجن المركزي رقم ٣، تيهار، نيودلهي، إلى "السيدة تبسّم زوجة ش. أفجال غورو" على ما يلي:

رُفض التماس الرحمة المقدم من ش. محمد أفجال غورو بن حبيب الله من قبل فخامة رئيس الهند. وعليه تُبّت موعد إعدام محمد أفجال غورو بن حبيب الله بتاريخ ٢٠١٣/٠٢/٠٩ في الساعة ٨ صباحاً في السجن المركزي رقم ٣.

يرجى أخذ العلم والقيام بمزيد من الإجراءات الضرورية. وصلت المذكرة بعد تنفيذ الإعدام، حرموا بذلك تبسّم من فرصة قانونية أخيرة - وهي الحق في الطعن في رفض التماس الرحمة. كان هذا الحق

من حقوق أفضل وأسرته، كل على حدة. أخطأ كلاهما. على الرغم من أنه إجباري بموجب القانون، لم تبيّن المذكرة الموجهة إلى تبسّم أيّ سبب لرفض الرئيس التماس الرحمة.^١ إذا لم يتم إبداء أيّ سبب، فعلى أيّ أساس تقدمون الالتماس؟ لقد مُتِح جميع السجناء الآخرين المحكومون بالإعدام في الهند تلك الفرصة الأخيرة.

بما أنّه لم يُسمح لتبسّم بمقابلة زوجها قبل شنقه، ولم يُسمح لابنها بالحصول على بضع نصائح أخيرة من والده، ولم تُسلّم جثته لزوجته لدفنها، ولا يمكن أن تكون هناك جنازة، ما هي "المزيد من الإجراءات الضرورية" الذي ينصّ عليه دليل السجون؟ الغضب؟ الحزن الطائش الذي لا يمكن تداركه؟ القبول الأعمى؟ اندماج كامل؟

بعد الشنق، كانت هناك احتفالات غير لائقة في الشوارع. عُرضت الشكالي من زوجات الذين قُتلوا في الهجوم على شاشة التلفاز، مع رئيس جبهة مكافحة الإرهاب لعموم الهند إم إس بيتا وشواربه الشرسة يلعبون دور الرئيس التنفيذي لشركتهم الصغيرة الحزينة. هل سيخبرهم أحد أنّ الرجال الذين أطلقوا النار على أزواجهن قد قُتلوا في الوقت نفسه، والمكان نفسه؟ وأنّ أولئك الذين خططوا للهجوم لن يُقدّموا إلى العدالة لأننا ما زلنا لا نعرف من هم؟

في غضون ذلك، تخضع كشمير لحظر التجول مرة أخرى. لقد حُبس شعبها مرة أخرى مثل الماشية في حظيرة. لقد تحدوا حظر التجول مرة أخرى. قُتل ثلاثة أشخاص في ثلاثة أيام، وأصيب خمسة عشر آخرون بجروح خطيرة.^٢ أُغلقت الصحف، لكن أي شخص يتصفح الإنترنت

سيرى أن غضب الشباب الكشميري هذه المرة لم يكن جريئاً وغزيراً مثلما كان خلال الانتفاضات الشاملة في صيف الأعوام ٢٠٠٨ و٢٠٠٩ و٢٠١٠ على الرغم من أن مئة وثمانين شخصاً قد فقدوا حياتهم في تلك المناسبات. هذه المرة كان الغضب بارداً ومزعجاً. لا يرحم. هل هناك أيّ سبب يجعله على غير ذلك؟

لقد عانى الكشميريون منذ أكثر من عشرين عاماً من الاحتلال العسكري. قُتل عشرات الآلاف من الذين خسروا أرواحهم في السجون ومراكز التعذيب، وفي "مواجهات" حقيقية ومزيفة. ما يميز إعدام أفضل غورو هو أنه منح الشباب، الذين لم يكن لديهم أي خبرة مباشرة في الديمقراطية، مقعداً في الصف الأول لمشاهدة الفخامة الكاملة للديمقراطية الهندية على أرض الواقع. لقد شاهدوا تطور الأحوال، وشاهدوا كل مؤسساتها الوقورة، والحكومة، والشرطة، والمحاكم، والأحزاب السياسية، ووسائل الإعلام بالتأكيد، تتواطأ لشقّ رجل كشميري لا يعتقدون أنه حصل على محاكمة عادلة، والذي أُدين بما لا يدع مجالاً للشك بناء على شكوك غير معقولة. (لقد ذهب فعلياً دون تمثيل في المحكمة الابتدائية خلال المرحلة الأكثر أهمية من المحاكمة. ولم يقتصر الأمر على أن المحامي الذي عينته الدولة لم يقيم بزيارة موكله في السجن فحسب، بل قدّم بالفعل أدلة إدانة ضده. وقد تداولت المحكمة العليا في هذا الشأن وقررت أنه كان مقبولاً).^٣ لقد شاهدوا الحكومة وهي تسحبه من طابور المحكوم عليهم بالإعدام وتقوم بإعدامه في غير دوره. ما هو الاتجاه أو الشكل الذي سيأخذه غضبهم البارد المدمر؟ هل سيقودهم إلى التحرر المبارك الذي

يتوقون إليه وضحووا بجيل كامل من أجله، أم سيؤدي إلى دورة أخرى من العنف الكارثي، حيث سيُضربون ثم ستُفرض "الحياة الطبيعية" عليهم تحت أحذية الجنود؟

كلّ مَنْ يعيش في المنطقة يعلم أنّ عام ٢٠١٤ سيكون عاماً فاصلاً. ستكون هناك انتخابات في باكستان والهند وولايتي جامو وكشمير. نعلم أنّه عندما تسحب الولايات المتحدة قواتها من أفغانستان، فإنّ الفوضى سوف تمتد إلى كشمير من باكستان التي تعاني بالفعل من زعزعة الاستقرار بشكل خطير، كما حصل من قبل. لقد اتخذت الحكومة الهندية قراراً بتأجيل عملية زعزعة الاستقرار، وقد شجعت على ذلك بالفعل، (كما فعلت ذلك من قبل، من خلال تزوير انتخابات ١٩٨٧ في كشمير)، وذلك بإعدام أفضل غورو على النحو الذي فعلته. بعد ثلاث سنوات متتالية من الاحتجاجات الجماهيرية في الوادي التي انتهت في عام ٢٠١٠، استثمرت الحكومة الكثير في استعادة نسخة "حياتها الطبيعية" (سياح سعداء وكشميريون يقومون بالتصويت). السؤال هو: لماذا كانت مستعدة للتراجع عن كلّ جهودها؟ تاركة قضايا الشرعية والأخلاق والفساد المتمثل في إعدام أفضل غورو بالطريقة التي تم بها، والنظر إليها من ناحية سياسية وتكتيكية، كان القيام بذلك أمراً خطيراً وغير مسؤول، ولكنه نُفذ بوضوح وعن علم. لماذا؟ لقد استخدمتُ كلمة "غير مسؤول" بحكمة. انظروا إلى ما حدث في المرة الأخيرة.

في عام ٢٠٠١، في غضون أسبوع من هجوم البرلمان (وبعد أيام قليلة من اعتقال أفضل غورو)، استدعت الحكومة سفيرها من باكستان،

وأرسلت نصف مليون جندي إلى الحدود. على أيّ أساس تمّ ذلك؟ الشيء الوحيد الذي قيل للجمهور هو أنّه بينما كان أفضل غورو محتجزاً لدى خلية الشرطة الخاصة في دهلي، اعترف بأنّه عضو في جماعة جيش محمد المتشددة ومقرها باكستان. رفضت المحكمة العليا هذا "الاعتراف" المتّرع في حجز الشرطة باعتباره غير مقبول بموجب القانون. هل تصبح الوثيقة غير المقبولة في القانون مقبولة في الحرب؟

في حكمها النهائي في القضية، بصرف النظر عن العبارات الشهيرة الآن عن "إرضاء الضمير الجماعي" وعدم وجود دليل مباشر، قالت المحكمة العليا أيضاً أنّه لم يكن هناك "دليل على أنّ محمد أفضل كان ينتمي إلى أي جماعة أو منظمة إرهابية". إذن ما الذي برر ذلك العدوان العسكري، وخسارة أرواح الجنود، والنزيف الهائل للمال العام، والخطر الحقيقي لحرب نووية؟ (هل تذكر كيف أصدرت السفارات الأجنبية تأشيرات السفر وأجلت موظفيها؟) هل كان هناك بعض الاستخبارات التي لم يتم إخبارنا بها، والتي سبقت هجوم البرلمان واعتقال أفضل غورو؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف سُمح بحدوث الهجوم؟ وإذا كانت المعلومات الاستخباراتية دقيقة بما يكفي لتبرير مثل هذا الموقف العسكري الخطير، ألا يحق للناس في الهند وباكستان وكشمير معرفة ما كانت تلك الاستخبارات؟ لماذا لم يُقدّم ذلك الدليل في المحكمة لإثبات ذنب أفضل غورو؟

في النقاشات التي لا تنتهي حول قضية الهجوم على البرلمان، التي ربما تكون أهم قضية على الإطلاق، كان هناك صمت تام من جميع الجهات (-

اليساريون واليمينيون والهندوتفاويون والعلمانيون والقوميون والمحرضون على الفتنة والمتشائمون والنقاد). لماذا؟

ربما كان جيش محمد هو العقل المدبر للهجوم. ربما يكون براين سوامي، أشهر خبير في الإعلام الهندي في مجال "الإرهاب"، الذي يبدو أنّ لديه مصادر يُحسد عليها في الشرطة الهندية ووكالات الاستخبارات، قد استشهد مؤخراً بشهادة رئيس المخابرات الباكستانية السابق الفريق جاويد أشرف قاضي عام ٢٠٠٣ وكتاب العالم الباكستاني محمد أمير رنا عام ٢٠٠٤، حمل جيش محمد مسؤولية الهجوم على البرلمان. ^٦ (إنّ هذا الاعتقاد في صدق شهادة رئيس منظمة مهمتها زعزعة استقرار الهند هو أمر مؤثر). لم تشرح شهادته ماهية الأدلة التي كانت موجودة في عام ٢٠٠١، عندما استنفر الجيش.

دعونا نقبل، جديلاً، أنّ جيش محمد قد نفذ الهجوم. ربما كانت وكالة الاستخبارات الباكستانية متورطة أيضاً. لا نحتاج إلى التظاهر بأنّ حكومة باكستان بريئة من القيام بنشاط سري طال كشمير. (تماماً كما تفعل حكومة الهند في بلوشستان وأجزاء من باكستان. تذكر أنّ الجيش الهندي درب حركة موكتي باهيني في شرق باكستان في السبعينيات. ودرب ستة مجموعات مسلحة من التاميل السريلانكيين، بما في ذلك نمور التاميل في الثمانينيات).
إنّه سيناريو قدر في كلّ مكان.

ما الذي قد تحققه الحرب مع باكستان في ذلك الوقت، وماذا سوف يتحقق الآن؟ (بصرف النظر عن الخسائر الفادحة في الأرواح. وتسمين الحسابات المصرفية لبعض تجار الأسلحة). يقترح الصقور الهنود بشكل

روتيني أنّ الطريقة الوحيدة "لاجتثاث المشكلة" هي "المطاردة الساخنة" و "القضاء" على "معسكرات الإرهابيين" في باكستان. حقا؟ سيكون من المثير للاهتمام البحث عن عدد الخبراء الإستراتيجيين ومحلي الدفاع الجريئين الموجودين على شاشات التلفاز لدينا الذين لديهم اهتمام بالدفاع وصناعة الأسلحة. حتى إنهم لا يحتاجون إلى الحرب، بل يحتاجون فقط إلى مناخ شبيه بالحرب يظل فيه الإنفاق العسكري في ازدياد تصاعدي. إنّ فكرة المطاردة الساخنة تلك هي فكرة أغبى مما تبدو وأكثر إثارة للشفقة. ماذا سوف يقصفون؟ ثلة من الأفراد؟ ثكناتهم وإمداداتهم الغذائية؟ أم أيديولوجيتهم؟ انظروا كيف انتهت "المطاردة الساخنة" التي تقوم بها الحكومة الأمريكية في أفغانستان. وانظر كيف أنّ "شبكة أمنية" قوامها نصف مليون جندي لم تتمكن من إخضاع السكان المدنيين العزل في كشمير. وكيف أنّ الهند سوف تعبر الحدود الدولية لقصف دولة تتحول بسرعة إلى فوضى مستخدمة الأسلحة النووية؟ يستمد دعاة الحرب المحترفون في الهند قدراً كبيراً من الرضا من السخرية مما يرونه تفكك باكستان. إنّ أيّ شخص ذي معرفة عملية بدائية بالتاريخ والجغرافيا سيعرف أنّ تفكك باكستان (إلى عصابات دينية من العدميين المجانين) ليس سبباً للمتعة على الإطلاق.

إنّ الوجود الأمريكي في أفغانستان والعراق، والدور الرسمي لباكستان كشريك أصغر لأمريكا في الحرب على الإرهاب، يجعل من تلك المنطقة مكاناً مكشوفاً جداً. يدرك بقية العالم على الأقل المخاطر التي تتكشف هناك. إنّ ازدياد تسارع القوة العظمى الجديدة المفضلة في العالم هو ما لا يمكن فهمه أو من الصعب قراءته إنّ الاقتصاد الهندي في ورطة كبيرة. إنّ الطموح العدواني والاستحواذي الذي أطلقه التحرر الاقتصادي في

الطبقة الوسطى حديثة النشأة يتحول بسرعة إلى إحباط عدواني مماثل. بدأت الطائرة التي كانوا يجلسون فيها في التوقف بعد إقلاعها مباشرة. كما بدأت البهجة بالتحول إلى ذعر.

من المقرر إجراء الانتخابات العامة في عام ٢٠١٤. حتى دون استطلاع التصويت، يمكنني إخباركم بما ستكون عليه النتائج. على الرغم من أنه قد لا يكون واضحاً للعين المجردة، سيكون لدينا مرة أخرى تحالف بين حزب المؤتمر وحزب بهاراتيا جاناتا. (BJP) (وهما حزبان، نفذ كل منهما قتلاً جماعياً لآلاف الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمعات الأقليات). سيقدم الحزب الشيوعي الهندي الماركسي (CPI-M) الدعم من الخارج، على الرغم من أنه لم يُطلب منه ذلك. أوه، وستكون دولة قوية. (على واجهة المشنقة، يتم الاستعداد والتجهز بالفعل. هل من الممكن أن يكون بالوانت سينغ راجوانا هو الشخص التالي الذي سيحين دوره في الحكم عليه بالإعدام بتهمة اغتيال رئيس وزراء البنجاب بينت سينغ؟ قد يؤدي إعدامه إلى إحياء مشاعر الخالصتانيين في البنجاب ووضع حزبي شيروماني أكالي دال و بهاراتيا جاناتا في خانة الاتهام. سياسة الكونغرس المثالية ذات الطراز القديم).^٧

غير أن هذه السياسات القديمة تواجه بعض الصعوبة. في الأشهر المضطربة القليلة الماضية، لم تكن صورة الأحزاب السياسية الكبرى وحسب هي ما يتعرض للهجوم بل السياسة في حد ذاتها، وفكرة السياسة كما نعرفها. سواء كان الأمر يتعلق بالفساد أم بارتفاع الأسعار أو الاغتصاب وتساعد العنف ضد المرأة، فإن الطبقة الوسطى الناشئة الجديدة يجري

اعتراض طريقهم بالممارس مراراً وتكراراً. يمكن أن يُرثوا بالمياه أو يُلاحقوا بالهراوات، ولكن لا يمكن إطلاق النار عليهم وسجنهم بالآلاف، بالطريقة التي يمكن أن تُطبق على الفقراء، بالطريقة التي يمكن بها معاملة الداليت والأديفاسيين والمسلمين والكشميريين والناغا والمانيوريين - وكما عاملوهم بتلك الطريقة. تدرك الأحزاب السياسية القديمة أنه إذا لم يكن هناك انهيار كامل، فلا بد من ترأس هذا العدوان وإعادة توجيهه. إنهم يعلمون أنه يجب عليهم العمل معاً لإعادة السياسة إلى ما كانت عليه من قبل. ما من طريقة أفضل من اشعال نار الطائفية؟ (وإلا كيف يمكن للعلماني أن يقوم بدوره كعلماني والطائفي أن يكون طائفيًا؟) ربما مجرد حرب صغيرة، حتى نتمكن من لعب دور المتشدد والمسلم مرة أخرى .

ما هو الحل الأفضل من توجيه ركلة إلى ذاك الذي جرب ووثق بكرة القدم السياسية القديمة -كشمير؟ إنَّ تعمّد الوقاحة المتمثلة في شنق أفضل غورو وتوقيته^٨ أعاد السياسة والغضب إلى شوارع كشمير.

تأمل الهند أن تتدبر الأمر بالمزيج المعتاد من القوة الغاشمة والتلاعب الميكافيلي السام المصمم لتأليب الناس بعضهم على بعض. تُقدّم الحرب في كشمير إلى العالم على أنها معركة بين ديمقراطية علمانية شاملة وإسلاميين متطرفين. إذن ما الذي يجب أن نفهمه من حقيقة أنّ المفتي بشير الدين، ما يُسمى بمفتي كشمير الأكبر (الذي هو، بالمناسبة، منصب وهمي تماماً) - هو الذي أطلق أبشع خطابات الكراهية وأصدر فتاوى بعد أخرى تهدف إلى تقديم كشمير على أنها مجتمع وهابي شيطاني ضخم - وهو في الواقع رجل دين عيّنته الحكومة؟ سيتم اعتقال الأطفال على فيسبوك، ولكن لن يُقبض

عليه أبدأ.^٩ ماذا يجب علينا أن نفهم من حقيقة أنّ الحكومة الهندية تغضّ الطرف بينما تتدفق الأموال من المملكة العربية السعودية (الشريك الأكثر ثباتاً للولايات المتحدة) إلى المدارس الدينية في كشمير؟ ما مدى اختلاف هذا عما فعلته وكالة المخابرات المركزية في أفغانستان كلّ تلك السنوات الماضية؟ إنّ هذا العمل المؤسف كله هو ما أوجد أسامة بن لادن، والقاعدة وطالبان. لقد قضى على أفغانستان وباكستان. أيّ نوع من الكوابيس سوف يقوم هذا العمل بإطلاق العنان لها؟

لن يكون من السهل ضبط كرة القدم السياسية القديمة. وضبط إشعاعها. قبل أيام قليلة اختبرت باكستان صاروخاً نووياً قصير المدى لاستخدامه في ساحة المعركة لحماية نفسها من تهديدات "السيناريوهات المتطورة". نشرت شرطة كشمير قبل أسبوعين "إرشادات البقاء" للحرب النووية. بصرف النظر عن تقديم النصح للناس ببناء أقبية مقاومة للقنابل، وتكون مجهزة بمرحاض بحيث تكون الأقبية كبيرة بما يكفي لإيواء عائلاتهم بأكملها لمدة أسبوعين، وقالت: "أثناء هجوم نووي، يجب على سائقي المركبات أن يخرجوا من سياراتهم نحو الانفجار لإنقاذ أنفسهم من انسحاقهم في عرباتهم التي سوف تتداعى قريباً". وحذرت الجميع من أن "يتوقعوا بعض الارتباك الأولي عندما تندفع موجة الانفجار وتعصف بالعديد من السمات البارزة والمألوفة".^{١٠}

قد تكون الميزات البارزة والمألوفة قد تلاشت بالفعل.

ربما يجب علينا جميعاً القفز من مركباتنا التي ستعثر قريباً.

خاتمة

الفصل السابع

خطاب إلى جامعة الشعب

أخلت الشرطة صباح أمس منتزه زوكوتي، إلا أنّ الناس عادوا اليوم. كان يجب على الشرطة أن تعلم أنّ هذا الاحتجاج ليس معركة من أجل الأرض. إنّنا لا نكافح من أجل الحق في احتلال منتزه هنا أو هناك. إنّنا نناضل من أجل العدالة. إنّ العدالة، ليست حكرًا على شعب الولايات المتحدة فقط، بل هي للجميع. إنّ ما حققتموه منذ السابع عشر من شهر أيلول، عندما بدأت حركة "احتلوا" في الولايات المتحدة، ما هو سوى تقديم خيال جديد، لغة سياسية جديدة، إلى قلب الإمبراطورية. لقد أعدتم طرح الحق في أن تحلموا في ظل نظام حاول تحويل الجميع إلى زومبي مفتونين في بمساواة الاستهلاك الطائش بالسعادة والإنجاز. دعني أخبرك، بصفتي كاتبة، إنّ هذا إنجاز هائل. لا أستطيع أن أوفيكم حقكم من الشكر.

كنا نتحدث عن العدالة. وبينما نتحدث اليوم، يشن جيش الولايات المتحدة حرب احتلال في العراق وأفغانستان. تقوم الطائرات الأمريكية من دون طيار بقتل المدنيين في باكستان وخارجها. تتحرك عشرات الآلاف من القوات الأمريكية وفرق الموت إلى إفريقيا. إذا لم يكن إنفاق تريليونات الدولارات من أموالكم كافيًا لإدارة احتلال العراق وأفغانستان، فالحرب

على إيران يتم الحديث عنها. منذ الكساد الكبير، كان تصنيع الأسلحة وتصدير الحرب هي الطرق الرئيسية التي حفزت بها الولايات المتحدة اقتصادها. أبرمت الولايات المتحدة في الآونة الأخيرة، في عهد الرئيس أوباما، صفقة أسلحة بقيمة ستين مليار دولار مع المملكة العربية السعودية. ^١ وتأمل في بيع الآلاف من مخترق التحصينات إلى الإمارات العربية المتحدة. لقد قامت ببيع ما قيمته خمسة مليارات دولار من الطائرات العسكرية لبلدي، الهند - بلدي التي فيها من الفقراء ما يفوق جميع البلدان الأفقر في أفريقيا مجتمعة. ^٢ حصدت جميع هذه الحروب، ابتداء من قصف هيروشيما وناغازاكي وصولاً إلى فيتنام وكوريا وأمريكا اللاتينية، الملايين من الأرواح - قاتلوا التأمين "أسلوب الحياة الأمريكية".

نحن نعلم اليوم أن "أسلوب الحياة الأمريكية" - النموذج الذي من المفترض أن يتطلع إليه بقية العالم - قد أدى إلى امتلاك أربعمئة شخص ثروة نصف سكان الولايات المتحدة. وكان هذا يعني أن يؤول حال آلاف الأشخاص خارج منازلهم ووظائفهم في حين كفلت حكومة الولايات المتحدة البنوك والشركات - إذ مُنحت الشركة العالمية الأمريكية - (AIG) American International Group وحدها ١٨٢ مليار دولار.

إنّ الحكومة الهندية تعبد السياسة الاقتصادية الأمريكية. نتيجة عشرين عاماً من اقتصاد السوق الحرة، يمتلك اليوم مئة من أغنى أغنياء الهند أصولاً تساوي ربع الناتج المحلي الإجمالي للبلاد في حين أن أكثر من ٨٠ في المئة من الناس يعيشون على أقل من خمسين سنتاً في اليوم. ^٣ انتحر مئتان وخمسون ألف مزارع ممن دُفعوا إلى دوامة الموت، ^٤ إننا ندعو إلى هذا

التقدم ونفكر الآن في أنفسنا كقوة عظمى. إننا مؤهلون جيداً مثلكم، لدينا قنابل نووية وعدم مساواة فاحش.

إنّ الأخبار الجيدة هي أنّ الناس اكتفوا ولن يتبنوها بعد الآن. انضمت حركة "احتلوا" إلى الآلاف من حركات المقاومة الأخرى في جميع أنحاء العالم حيث يقوم أفقر الناس بالوقوف في طريق أغنى الشركات وإيقافها. يلحم القليل منا بأننا سوف نراكم يا شعب الولايات المتحدة إلى جانبنا وأنتم تحاولون القيام بذلك في قلب الإمبراطورية. لا أعرف كيف أوصل لكم حجم ما يعنيه هذا. يقول (الواحد في المئة) أنّه ليس ثمة مطالب لنا. . . لا يعلمون، ربما، أنّ غضبنا وحده قد يكون كافياً لتدميرهم. ولكن إليكم بعض الأشياء - كان لدي بعض الأفكار "السابقة للثورة" - لكي نفكر بها معاً.

نريد أن نضع حداً لهذا النظام الذي يصنع عدم المساواة .
نريد وضع حد أقصى للتراكم غير المقيّد لثروة وممتلكات الأفراد والشركات على حد سواء.

بصفتنا واضعي حدود وحدود قصوى، نطالب بما يلي :

أولاً: وضع حد للملكية المشتركة في الأعمال. على سبيل المثال: لا يمكن لمصنعي الأسلحة امتلاك محطات التلفاز، ولا تستطيع شركات التعدين إدارة الصحف، ولا تستطيع الأعمال التجارية تمويل الجامعات، ولا تستطيع شركات الأدوية السيطرة على أموال الصحة العامة.

ثانياً: الموارد الطبيعية والبنية التحتية الأساسية - لا يمكن خصخصة إمداد المياه والكهرباء والصحة والتعليم.

ثالثاً: يجب أن يكون لكل فرد الحق في المأوى والتعليم، والرعاية الصحية.

رابعاً: لا يمكن لأبناء الأغنياء أن يرثوا ثروة آبائهم.

أعاد هذا الصراع إيقاظ مخيلتنا. في مكان ما على طول الطريق، قللت الرأسمالية من فكرة العدالة لتصبح مجرد "حقوق الإنسان" وفكرة الحلم بالمساواة فكرة تجديفية. نحن لا نكافح من أجل التلاعب في إصلاح النظام الذي يحتاج إلى استبدال. بوصفنا واضعي حدود وحدود قصوى، أحيي نضالك. السلام ودمتم.



الهيئة العامة
السورية للكتاب

ملاحظات

١ - بابلو نيرودا، "القصة"، في شعر بابلو نيرودا / The Poetry of Pablo Neruda، إيلان ستافانز (نيويورك شركة فارار وستراوس وجيروكس للنشر، ٢٠٠٣)، ٢٢٩.

التمهيد: تلقى الرئيس التحية

١ - "المهاجرون مُلامون على تصعيد الجرائم في المدن" صحيفة إكسبرس الهندية، ٢ نيسان من عام ٢٠١٣،

<http://newindianexpress.com/nation/Migrants-blamed-for-surgin-crimes-in-Delhi/2013/04/22/article1555785.ece>.

الفصل الأول: الرأسالية قصة شبح

١ - بيان صحفي بعنوان "موكيش أمباني يتصدر للسنة الثالثة كأغنى أغنياء الهند"، فوربس آسيا، في ٣٠ أيلول من عام ٢٠١٠. يشير المقال: لقد بلغ صافي الثروة المجمعة لأغنى ١٠٠ شخص في الهند ٣٠٠ مليار دولار، ارتفعت من ٢٧٦ مليار دولار العام الماضي. هناك ٦٩ مليارديراً، هذا العام، في قائمة أغنياء الهند، بزيادة ١٧ شخص عن العام الماضي". كان الناتج المحلي الإجمالي للهند لعام ٢٠٠٩ يصل إلى ١.٢ دولار تريليون دولار.

٢ - مقالة بعنوان "لعائلة هندية ثرية، المنزل الفخم ليس موطناً"، بقلم فيكاس باجاج، صحيفة نيويورك تايمز، في ١٨ تشرين الأول من عام ٢٠١١،

<http://www.nytimes.com/2011/10/19/business/global/this-luxurious-house-is-not-a-home.html>.

٣ - بيان الحزب الشيوعي، تأليف فريدريك إنجلز وكارل ماركس، المترجم صاموئيل مور (تورفين، المملكة المتحدة: ميرلين، ١٩٩٨)، ١٧٠.

٤ - مقالة بعنوان "انتحار المزارعين يرتفع في ولاية ماهاراشترا، ولا تزال الولاية تتصدر القائمة"، بقلم بالاغومي سايناث، الصحيفة الهندوسية في ٣ تموز من عام ٢٠١٢،

www.thehindu.com/opinion/columns/sainath/article3595351.ece

٥ - تقرير عن ظروف العمل وتعزيز سبل العيش في القطاع غير المنظم، صادر عن الهيئة الوطنية لمنشآت القطاع غير المنظم (NCEUS)، حكومة الهند، في شهر آب من عام ٢٠٠٧. تشير الدراسة المدعومة من الدولة إلى أنه على الرغم من "أدت الطفرة في الاقتصاد إلى الشعور بالنشوة مع مطلع القرن الماضي... لم يتأثر غالبية الناس بهذه النشوة. في نهاية عام ٢٠٠٤/٢٠٠٥، كان نحو ٨٣٦ مليوناً أو ٧٧ في المئة من السكان يعيشون على أقل من ٢٠ روبية في اليوم ويشكلون معظم الاقتصاد غير الرسمي".

٦ - اعتباراً من آذار من عام ٢٠١٣، بلغت ثروة موكيش أمباني ٢١.٥ مليار دولار وفق بيان مجلة فوربس

<http://www.forbes.com/profile/mukesh-ambani/>.

٧ - مقالة بعنوان "شركة رليانس للصناعات المحدودة (RIL) تشتري ٩٥% حصة في شركة انفوتيل للاتصال السريع"، صحيفة التايمز الهندية، في ١١ تموز من عام 2010،

http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2010-06-11/telecom/28277245_1infotel-broadband-broadband-wirelessaccess-spectrum-world-class-consumer-experiences

٨ - مقالة بقلم دييالي جوبتا بعنوان: "انفوتيل للاتصال السريع المملوكة لموكيش أمباني تضع أكثر من مليون برج للاتصالات ذات العمليات من الجيل الرابع 4G"، صحيفة ذا إيكونوميك تايمز، 23 من شهر آب من عام ٢٠١٢،

http://articles.economictimes.indiatimes.com/2012-04-23/news/31387124_1_telecom-towers-largest-tower-tower-arm

٩ - مقالة بقلم بريندا كارات، بعنوان "عن المناجم والمعادن والحقوق القبلية"، الصحيفة الهندوسية، 15 من شهر أيار من عام 2012،

<http://www.thehindu.com/opinion/lead/of-mines-minerals-and-tribal-rights/article3419034.ece>.

١٠- انظر إلى مقالة مايكل ليفيان، "مسألة الأرض: المناطق الاقتصادية الخاصة والاقتصاد السياسي لنزع الملكية في الهند"، مجلة دراسات الفلاحين ٣٩، العدد: ٣-٤ (٢٠١٢): ٩٣٣-٦٩.

١١- ساكثيفيل وبينانكي جودار، "القوى العاملة في القطاع غير المنظم في الهند: الاتجاهات والأنماط وتغطية الضمان الاجتماعي"، مجلة ويكلي الاقتصادية والسياسية، ٢٧ من أيار ٢٠٠٦، ٢١٠٧، ١٤.

١٢- "الهند توافق على زيادة الإتاوات على التعدين المعدني"، صحيفة وول ستريت جورنال، ١٢ من شهر آب عام ٢٠٠٩.

<http://online.wsj.com/article/SB125006823591525437.html>.

١٣- من تقرير وزارة التنمية الريفية لعام ٢٠٠٩ بعنوان "العلاقات الزراعية الحكومية والمهمة غير المكتملة لإصلاحات الأراضي"، الموكلة إلى حكومة الهند: "جاء النهج الجديد بسلوى جودوم. وكانت شركتا تانا وإيسار أحد الممولين [لها]. وُضعت ٦٤٠ قرية حسب الإحصاءات الرسمية مكشوفة، مدمرة كلياً وخاوية على عروشها بقوة البندقية ومباركة الدولة. هُجّر ثلاثمئة وخمسون ألف قبيلة، نصف مجموع سكان منطقة دانتوادا، وتعرضت نساؤها للاغتصاب وقتلت بناتها وشوّه شبابها. جُمع أولئك الذين لا يستطيعون الهرب إلى الغابة معاً في مخيمات اللاجئين التي تديرها سلوى جودوم. يواصل الآخرون الاختباء في الغابة أو الهجرة إلى المناطق القبلية القريبة في ولاية ماهاراشترا، وولاية اندرا براديش وأوريسا. أصبحت ٦٤٠ قرية فارغة. هُجّر سكان قرى قابعة على أطنان من خام الحديد وأصبحت متاحة لأعلى سعر. آخر المعلومات التي يجري تداولها هي أن كل من شركتي إيسار ستيل وتانا ستيل على استعداد لتولي منطقة المناظر الطبيعية الفارغة وإدارة المناجم" ١٦١.

<http://www.rd.ap.gov.in/IKPLand/MRD Committee Report V 01 Mar 09.pdf>.

١٤- "الشرطة تفتح النار في كالينجاناجار" تقرير الاتحاد الشعبي للحريات المدنية (PUCL)، بقلم بي برادهان، أوريسا. نيسان عام ٢٠٠٦.

١٥- المرجع السابق نفسه

١٦ - "الحرب الهندية تشن الهجوم على الماويين"، بقلم سودها راماشاندران، آسيا تايمز أونلاين، ٢٦ أيار عام ٢٠١٠،

http://www.atimes.com/atimes/South_Asia/LE26Df02.html.

١٧ - "العمليات المضادة للناكساليين: لن تسحب الحكومة ١٠٠٠٠ جندي من قوات شرطة الاحتياطي المركزي"، موقع زي نيوز، ٣٠ من تشرين الأول عام ٢٠١٢،

http://zeenews.india.com/news/nation/anti-naxal-operations-govt-to-deploy-10-000-crfp-troopers_808442.html. انظر أيضاً <http://www.indiandefence.com/forums/national-politics/22342-kanwar-yet-again-urges-army-action-naxals.html>;

<http://news.webindia123.com/news/Articles/India/20121115/2102012.html>;

http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2012-06-02/india/31983397_1_s-vireesh-prabhu-gadchiroli-naxals.

١٨ - انظر تقرير هيومن رايتس ووتش، "الابتعاد عن القتل: خمسون عاماً على قانون القوات الخاصة للقوات المسلحة"، آب عام ٢٠٠٨. يذكر التقرير أن قدرة القوات الخاصة المسلحة على التصرف "عند الاشتباه" قد أدت إلى الآلاف من حالات الاختفاء في جامو وكشمير. كثير من هؤلاء الذين اختفوا في "قبور لا تحمل شاهداً، وتقول قوات الأمن إنها مدافن لمسلحين مجهولين. طالبت جماعات تابعة لحقوق الانسان منذ فترة طويلة بإجراء تحقيق مستقل وتحليل طب شرعي لتحديد هوية الموجودين في القبور، إلا أن الحكومة لم تستجب بعد لهذا الطلب" (١٢).

١٩ - "فضية سوني سوري: تريد هيومان رايتس ووتش من رئيس الوزراء أن يأمر بإجراء تحقيق محايد بشأن التعذيب" بقلم ج. بالاجي، الصحيفة الهندوسية، ٨ آذار من عام ٢٠١١،

<http://www.thehindu.com/news/states/soni-sori-case-hrw-wants-pm-to-order-impartial-probe-ontorture/article2971330.ece?ref=relatedNews>.

على الرغم من تبرئة سوني سوري في ست من القضايا الثماني المرفوعة ضدها، لا تزال في سجن تشهاتيسجاره. انظر مقالة الصحفي سوفوجيت باغثشي بعنوان: "تبرئة

سوني سوري في قضية الهجوم على زعيم الكونجرس"، الصحيفة الهندوسية، ١ من أيار علم ٢٠١٣،

[http://www.thehindu.com/news/national/soni-sori-kodopi-acquitted-of-murder-charges/article4673791.ece.](http://www.thehindu.com/news/national/soni-sori-kodopi-acquitted-of-murder-charges/article4673791.ece)

٢٠ - "المحكمة العليا تحافظ على تخليص منجم فحم DB Power في تشهاتيسجاره" بقلم أمان سيثي، الصحيفة الهندوسية، ١٢ كانون الأول من عام ٢٠٠١،

[http://www.thehindu.com/todays-paper/tp-national/high-court-stays-clearance-for-db-power-coal-mine-in-chhattisgarh/article2707597.ece.](http://www.thehindu.com/todays-paper/tp-national/high-court-stays-clearance-for-db-power-coal-mine-in-chhattisgarh/article2707597.ece)

٢١ - مقالة بقلم سانجيب باروه، "خطأ الجسر" صحيفة هندوستان تايمز، ٢ أيلول من عام ٢٠٢١،

[http://www.hindustantimes.com/News-Feed/Travel/Dam-wrong/Article1-604611.aspx.](http://www.hindustantimes.com/News-Feed/Travel/Dam-wrong/Article1-604611.aspx)

٢٢ - "تحوّلت الاحتجاجات المناهضة لانقطاع التيار الكهربائي إلى احتجاجات دموية"، قناة الجزيرة، ٣ كانون الثاني من عام ٢٠١٢،

<http://www.aljazeera.com/news/asia/2012/01/201212181142597804.html>.

٢٣ - "تقرير يزيد المخاوف بشأن مجاورة سد كالسبار ومفاعل ميثي فيردي النووي"، صحيفة اكسبرس الهندية، ٣ أيار عام ٢٠١٣،

[http://www.indianexpress.com/news/-report-raised-fears-about-proximity-of-kalpsar-dam—mithivirdi-nproject-/1110913/.](http://www.indianexpress.com/news/-report-raised-fears-about-proximity-of-kalpsar-dam—mithivirdi-nproject-/1110913/)

٢٤ - "الإمبراطور غير المتوج: صعود ناريندرا مودي" بقلم فينود جوزيه، مجلة كارافان، ١ آذار من عام ٢٠١٢،

[http://www.caravanmagazine.in/print/1006.](http://www.caravanmagazine.in/print/1006)

٢٥ - انظر إلى الرابط <http://www.investindholera.com/DMIC-projects.html>

٢٦ - "فهم إدارة الجيش الهندي" بقلم Maj Gen Dhruv C Katoch، ندوة مركز دراسات الأعمال الحربية البرية، دهي، ٢١ شباط عام ٢٠١٢،

[http://www.claws.in/index.php?action=master&task=1092&u_id=36.](http://www.claws.in/index.php?action=master&task=1092&u_id=36)

٢٧- مقالة بعنوان "المثل العليا والفساد يهيمنان على أجندة مهرجان فكر"، بقلم الصحفية ليديا بولغرين، صحيفة نيويورك تايمز، ١ تشرين الثاني عام ٢٠١١،

<http://india.blogs.nytimes.com/2011/11/11/high-ideals-and-corruption-dominate-think-festival-agenda/>.

بينما عقدت مجلة نيهيلكا مؤتمر "Summit of the Powerless" "قمة العاجزين" عام ٢٠٠٦، حيث بدأت المناقشات حول النكسالية وحالات انتحار المزارعين، كان مهرجان فكر Think Fest لعام ٢٠١١، الذي استضافته المجلة نفسها، بمثابة "احتفال براق وساحر" مع ضيوف من بينهم توماس فريدمان و "بارونات التعدين وأباطرة العقارات" في الهند والذين عقدوا" في منتجع من فئة الخمس نجوم . . يُزعم أنه مملوك لرجال في السجن في انتظار اتهامات تتعلق بعملية احتيار طيف الاتصالات من نوع G2".

٢٨- " كيف أصبح عمال مناجم الخام غير القانونية في غوا في سباق مع ديجامبار كامات" بقلم رامن كيربال، موقع فيرست بوست بوليتيكس، ٥ أيلول من عام ٢٠١١،

<http://www.firstpost.com/politics/how-goas-illegal-ore-miners-are-in-league-with-cm-kamat-76437.html>.

٢٩- " معركة باستار" بقلم بورنينا تريباتي في موقع فرونتلاين ٩، العدد ٨، ٥ أيلول من عام ٢٠١١

<http://www.firstpost.com/politics/how-goas-illegal-ore-miners-are-in-league-with-cm-kamat-76437.html>.

٣٠- "باسيفيك إنترناشيونال لايتز في دور الهند في "الإبادة الجماعية" صحيفة التلغراف الهندية، ١ آذار من عام ٢٠١٣،

http://www.telegraphindia.com/1130321/jsp/nation/story_16698590.jsp#Ud2nkuB1Pdk.
Peter Cobus, "Indian Kashmir to ID Bodies from Unmarked Graves," Voice of America, September 26, 2011, <http://www.voanews.com/content/indian-kashmir-to-id-bodies-from-unmarked-graves-130632003/168028.html>.

٣١- شمس جايبور، "مهرجان جايبور الأدبي: أوبرا وينفري تسحر الهند الفوضوية"،
صحيفة إكسبرس الهندية، ٢٢ كانون الثاني من عام ٢٠١٢،

<http://www.indianexpress.com/news/jaipur-lit-fest-oprah-winfrey-chaotic-india/902640/>.

٣٢- "سُتُنْفَذَ مشيئتك: انتصار أمازون، نيلسون روكفلر والتبشير في عصر النفط بقلم
جيرارد كوليبي (دار نشر هاربر كولينز، نيويورك ١٩٩٦)

٣٣- "مقدمة: آل روكفلر"، برنامج التجربة الأمريكية، مؤسسات للث العام،

<http://www.pbs.org/wgbh/americanexperience/features/introduction/rockefellers-introduction/>.

بسبب الحرب الوحشية التي شنها لسحق منافسيه، كان روكفلر بالنسبة للعديد من
الأمريكيين تجسيدا لنظام اقتصادي غير عادل وقاسي. ومع ذلك فقد عاش حياة
هادئة وفاضلة". قال روكفلر ذات مرة: "أعتقد أن القوة في كسب المال هي هبة من
الله". "من واجبي كسب المال والمزيد من الأموال واستخدام الأموال التي أكسبها
لصالح زملائي".

٣٤- قصيدة بعنوان "Standard Oil Company" شركة ساندرد أويل "بقلم بابلو نيرودا،
من كتاب كانتو جنرال ترجمة جاك شميت (بيركلي: صحافة جامعة كاليفورنيا،
١٩٩١)، ١٧٦.

٣٥- لمزيد من التحليل حول مشاركة مؤسسة غيتس في خصخصة التعليم، إلى جانب
التخفيضات الكبيرة في الإنفاق الحكومي، انظر أيضاً "أجندة أوباما النيوليبرالية
للتعليم العام" من كتاب *Education and Capitalism: Struggles for Learning and Liberation*
و جيف بيل (شيكاغو: هايماركر بوكس، ٢٠١٢).

٣٦- "القطاع الثالث كطبقة حامية للرأسمالية"، بقلم جوان رويلوفس، المجلة الشهرية
٤٧، العدد ٤، أيلول ١٩٩٥: ١٦.

٣٧- "Foundations and Public Policy: The Mask of Pluralism" الأسس والسياسة العامة:
قناع التعددية" بقلم جوان رويلوفس (ألبي، نيويورك: صاني برس، ٢٠٠٣).

- ٣٨ - كتاب إريك توسينت، *Your Money or Your Life: The Tyranny of Global Finance*، "مالك أو حياتك: استبداد التمويل العالمي" (شيكاغو: هاياركت بوكس، ٢٠٠٥).
- ٣٩ - "القطاع الثالث" رويلوفس.
- ٤٠ - المرجع نفسه.
- ٤١ - المرجع نفسه.
- ٤٢ - المرجع نفسه.
- ٤٣ - "قروض صغيرة تتراكم لتصبح ديوناً قاتلة" بقلم إريكا كيتنز، الصحيفة الهندوسية، ٢٥ من شهر شباط من عام ٢٠١٢،
<http://www.thehindu.com/news/national/small-loans-add-up-to-lethal-debts/article2932670.ece>.
- ٤٤ - "دولة فورد، بناء النخبة الإندونيسية" بقلم ديفيد رانسوم في كتاب "حصان طروادة: نظرة متشددة على المساعدات الخارجية" بقلم ستيف وايزمان مع أعضاء مركز دراسات المحيط الهادي ومؤتمر أمريكا الشمالية حول أمريكا اللاتينية. (صحيفة رامبرانت، بالو ألتو، كاليفورنيا عام ١٩٧٥) ٩٣-١١٦
- ٤٥ - كتاب "بينوشيه الاقتصادية: مدرسة شيكاغو للاقتصاد في تشيلي" للمؤلف خوان غابرييل فالديز، (نيويورك، مطبوعات جامعة كامبريدج، ١٩٩٥).
- ٤٦ - راجندر سينج نيحي جائزة رامون ماجسايساي: النوبل الآسيوي ليس نبيلاً جداً"، مجلة ويكلي الاقتصادية والسياسية ٤٣، العدد ٤٣ (٢٠٠٨): ١٤-١٦.
- ٤٧ - نارايان لاكشمان، "يحتاج البنك الدولي إلى سياسات لمكافحة الكسب غير المشروع".
 الصحيفة الهندوسية، ١ أيلول من عام ٢٠١١،
<http://www.thehindu.com/todays-aper/tpinternational/world-bank-needs-antigraft-policies/article2416346.ece>.
- ٤٨ - أليجنديرا فيفروس، "البنك الدولي يعلن الفائزين بالجائزة المتميزة للخدمة العامة"،
 ١٥ من نيسان من عام ٢٠٠٨،
<http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/NEWS/0,,contentMDK:21732141~pagePK:34370~piPK:34424~theSitePK:4607.00.html>.

- ٤٩ - انظر إلى كتاب "القطاع الثالث" لرويلوفس.
- ٥٠ - ثقة الصحافة في الهند، " انفوسيس التي تقدّم عطاءات لمشاريع رقم التعريف الفريد (UID)، لا ترى أي صراع على المصالح"، صحيفة اكسبرس الهندية، ٢٧ من حزيران، ٢٠٠٩،
- <http://www.indianexpress.com/news/infosys-to-bid-for-uid-projects-sees-no-conflict-of-interest/481849/>.
- ٥١ - جاستين غيليس، "بيل غيتس يدعو إلى مزيد من المساءلة في برامج الغذاء"، صحيفة نيويورك تايمز، ٢٣ من شباط من عام ٢٠١٢،
- <http://green.blogs.nytimes.com/2012/02/23/bill-gates-calls-for-more-accountability-on-food-programs/>.
- ٥٢ - روبرت أرنوف، العمل الخيري والامبريالية الثقافية: التأسيس من الداخل والخارج (بوسطن، جي كي هول للنشر، ١٩٨٠). يقول في المقال: "إنّ العمل الخيري الأمريكي والعلوم الاجتماعية، يلخص دونالد فيشر دور المؤسسات الأمريكية في تشكيل الفكر السياسي من خلال التأثير على المناهج الجامعية حول العالم".
- ٥٣ - انظر الرابط الإلكتروني:
- <http://foundationcenter.org/findfunders/topfunders/top100assets.html>.
- ٥٤ - انظر إلى "المؤسسات والسياسة العامة" لرويلوفس.
- ٥٥ - مانينغ ماربل، "العرق والإصلاح والتمرد: إعادة الإعمار الثانية وما وراءها في أمريكا السوداء"، ١٩٤٥-٢٠٠٦ (جاكسون: منشورات جامعة المسيسيبي، ٢٠٠٧).
- ٥٦ - ديفين فيرغوس، " اللبيرالية، وقوة السود وصناعة السياسات الأمريكية، ١٩٥٦ - ١٩٨٠ (أثينا: منشورات جامعة جورجيا، ٢٠٠٩)
- ٥٧ - يرتبط قسم الدفاع بموقع مركز كينغ ويواصل لعب دور فعال في تشكيل احتفالية الولايات المتحدة بإرث كينغ، انظر الرابط التالي
- <http://www.defense.gov/News/NewsArticle.aspx?ID=43313>.
- ٥٨ - انظر إلى كتاب "القطاع الثالث" لرويلوفس.

٥٩ - بي فايداياناان آير، "مؤسسة الداليت الجاهزة لعرض الأعمال يمكنها التغلب على الطائفية"، صحيفة إكسبرس الهندية، ١٥ من كانون الأول من عام ٢٠١١.

<http://www.indianexpress.com/news/dalit-inc.-ready-to-show-business-can-beat-caste/888062/>.

٦٠ - انظر "شارك ORF أيضًا بشكل مباشر في صعود مودي: عن مشاركة مودي في مؤتمر استضافته Google، قال أحد زملائه في ORF، "إنه يحاول أن يقدم نفسه كشخص عصري حريص على قضايا التنمية وهذا الصيف يقدم له منصة للوصول إلى جيل الشباب - ما نسميه الهند الطموحة"

<http://orfonline.org/cms/sites/orfonline/home.html>.

(<http://india.blogs.nytimes.com/2013/03/20/google-hosts-narendra-modi-at-tech-summit/>).

٦١ - انظر "تقوم شركة رايتون بالتوازي مع الشركات الهندية بمتابعة الفرص المنبثقة"، ١٣ من تشرين الثاني من عام ٢٠٠٧.

<http://raytheon.mediaroom.com/index.php?s=43&item=870>.

٦٢ - إنجلز وماركس، مانيفيستو.

الفصل الثاني: أفضل ألا أكون أنا

١ - "يقول الكونغرس: إن أنا هازار في حد ذاته متورط في الفساد"، صحيفة إكونوميك تايمز، ١٤ من آب من عام ٢٠١١.

http://articles.economicstimes.indiatimes.com/2011-08-14/news/29886595_1_hind-swaraj-trust-anna-hazare-lokpal-bill.

انظر أيضاً القاضي بي بي ساوات: "كان هازار قد أُدين بالفساد"، البث المباشر لقناة IBNLive، ١٤ من آب عام ٢٠١١.

٢ - بعد مدة وجيزة من إطلاق سراح هازار من السجن، ذكرت صحيفة التلغراف أن هازار أصيب بجلوكوز ومسحوق إلكتروليت خلال ثاني "صيام له حتى الموت". بسبب الاحتيال المحتمل، قدم الطبيب الذي فحصه، أهبيجيت فيديا، تحليلاً يقول فيه: "أخشى أن يُستخدم هازار كأداة لزعزعة استقرار الحكومة... من الواضح أنه

يجب محاربة الفساد، ولكن هازار لم يتطرق مطلقاً إلى القضايا الاجتماعية الأخرى مثل عدم المساواة الاقتصادية والفقر المدقع وانتحار المزارعين التي تضر بالبلد بالقدر ذاته". أمّا سر الصيام؟ فاسمعه من طبيب مدينة بيون". صحيفة التلغراف، ١٦ من آب من عام ٢٠١١.

http://www.telegraphindia.com/1110817/jsp/nation/story_14386100.jsp.

انظر أيضاً "احتيال أنا هازار"، صحيفة آناليتيكال الشهرية، ١٥ من نيسان من عام ٢٠١١،

<http://mrzine.monthlyreview.org/2011/amr150411.html>.

٣- ماناس داس غوبتا، "يوضح هازار ملاحظات بشأن رئيس الوزراء مودي، والنشطاء لا يكفون"، صحيفة هندوستان، ١٣ من نيسان من عام ٢٠١١.

<http://www.hindu.com/2011/04/13/stories/2011041364651600.htm>.

٤- "فشل هازار في التعرف على مساهمة العمال: RSS"، الصحيفة الهندوسية في ٥ من شباط من عام ٢٠١٢.

<http://www.thehindu.com/news/national/hazare-failed-to-recognise-workers-contribution-rss/article2863182.ece>.

٥- "صناعة السلطة الأخلاقية: أنا هازار وبرنامج المجمعات المائية في راليجان سيدي"، بقلم موكل شارما، مجلة إيكونوميكس آند بوليتيكال ويكلي ٤١، العدد: ٢٠ أيار من عام ٢٠٠٦: ١٩٨١-٨٨.

٦- "طريق أمواهم المتدفق"، بقلم لولا نايار، مجلة أوتلوك إنديا، ١٩ من أيلول من عام ٢٠١١.

<http://www.outlookindia.com/article.aspx?278264>.

الفصل الثالث: الأموات يتكلمون

١- مراسلات خاصة، "مثقفون يحتجون هلة ترحيل كاتب البث التلفزيوني الأمريكي"، الصحيفة الهندوسية، ٢٩ أيلول، ٢٠١١،

<http://www.thehindu.com/news/national/intellectuals-protest-deportation-of-us-broadcasterwriter/article2497779.ece>.

٢- المرجع السابق نفسه، "وعندما وصل الأمر إلى تعليقات، ادّعت مصادر في وزارة الداخلية أنّ السيد بارساميان قد سافر إلى الهند دون "تأشيرة صالحة". ومع ذلك، زعمت مصادر في مطار IGI في دلهي أنّ السيد بارساميان قد انتهك معايير التأشيرة الخاصة به خلال زيارته في عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠ من خلال الانغماس في عمل مهني أثناء حملته تأشيرة سياحية. من أجل ذلك، وضعت سلطات الهجرة على قائمة المراقبة لمنعه من الدخول في زيارته القادمة. جرت مراجعة قائمة المراقبة من وقت لآخر على أساس المدخلات الواردة من مختلف الجهات".

٣- انظر إلى "كشمير: وقت الرحيل"، إيكونوميست، ٤ من نيسان من عام ٢٠٠٧.

<http://www.economist.com/node/8960457>.

٤- "ترحيل أستاذ جامعي أمريكي بسبب "نشاط سياسي" في الوادي"، صحيفة اكسبريس الهندية، ٤ من تشرين الثاني من عام ٢٠١٠.

<http://www.indianexpress.com/news/us-professor-deported-for-political-activism-in-valley/706855/>.

للحصول على تقرير كامل من محكمة الشعب العليا لحقوق الانسان وعدالته، الذي كتبه أنغانا تشاترجي. انظر إلى: "الأدلة الدفينة: مقابر جماعية مجهولة ودون معالم في كشمير الخاضع للإدارة الهندية"، تشرين الثاني من عام ٢٠٠٩.

<http://www.kashmirprocess.org/reports/graves/BuriedEvidenceKashmir.pdf>.

٥- انظر المذكرة الصحفية الصادرة عن محكمة الشعب الدولية لحقوق الانسان والعدالة في إقليم كشمير الخاضع للإدارة الهندية:

<http://www.thekashmirwalla.com/2011/05/gautam-navlakha-denied-entry-deported-from-srinagar-airport-press-note-from-iptk/>.

٦- انظر إلى تقرير عام ٢٠١٣ من لجنة حماية الصحفيين:

<http://cpj.org/2013/07/for-journalist-in-chhattisgarh-justice-delayed-den.php>.

٧- انظر إلى "الحقيقة المزعجة بشأن سونيسوري"، بقلم شما تشاودوري، مجلة تيهلكا ٨، العدد ٤١، تشرين الأول من عام ٢٠١١.

http://archive.tehelka.com/story_main50.asp?filename=Ne151011coverstory.asp.

٨- "تقول المحكمة العليا إن جيش سلوى جودوم ليس قانونياً" بقلم ج. فينكاتسان،
الصحيفة الهندوسية، ٥ من تموز من عام ٢٠٠١.

<http://www.thehindu.com/news/national/salwa-judum-is-illegal-says-supreme-court/article2161246.ece>.

٩- انظر فيديو قناة تيهلكا عن لمسؤول الشرطة في تشهاتيسجاره وهو يعترف بسيناريو
اعتقال لينجارام كودوبي بعد أن طلب كومار التماس الأمر بالمثل امام القضاء:

<http://www.youtube.com/watch?v=qgtBZeLJuWs&list=PLz16ahsYEHrI1wNDNb56QpD-ATYZx0j8qw&index=1>.

١٠- "تلك الملاحظات المتضاربة" بقلم كومكوم ديسكوبتا، هندوستان تايمز، ٢٠ أيلول
من عام ٢٠١١.

<http://www.hindustantimes.com/editorial-views-on/ColumnsOthers/Those-discordant-notes/Article1-748175.aspx>.

١١- "مقتل آزاد صفقة كبيرة للماويين" بقلم د. ماهوا تشاترجي و فيشوا موهان، صحيفة
ذا إيكونوميك تايمز.

[http://articles.economicstimes.indiatimes.com/2010-07-](http://articles.economicstimes.indiatimes.com/2010-07-03/news/27581751_1_cherukuri-rajkumar-maoists-dandakaranya)

[03/news/27581751_1_cherukuri-rajkumar-maoists-dandakaranya](http://articles.economicstimes.indiatimes.com/2010-07-03/news/27581751_1_cherukuri-rajkumar-maoists-dandakaranya).

١٢- "أعلن الماويون خليفة آزاد" بقلم أمان سيثي، الصحيفة الهندوسية، ٢١ تموز من عام
٢٠١٠.

<http://www.thehindu.com/todays-paper/tp-national/maoists-announce-azads-successor/article525724.ece>.

١٣- "قوات الأمن تدير أعمال شغب في دانتواادا" بقلم سوبريا شارما، صحيفة التايمز
الهندية، ٢٣ آذار من عام ٢٠١١.

http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2011-03-23/india/29177593_1_dantewada-villages-local-police.

١٤- انظر إلى الرابط:
<http://www.youtube.com/watch?v=LR4BdBWoPC0>.

١٥ - "إطلاق سراح الناشط بالحقوق المدنية بينياك سين بكفالة" صحيفة التايمز الهندية، ٢٥ أيار من عام ٢٠٠٩.

http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2009-05-25/india/28202410_1_plea-binayak-sen-chhattisgarh-high-court.

١٦ - "الطبيب والحالة والقضية المشؤومة" بقلم شوما شودهاري، تيهلكا ٥، العدد ٧، شباط ٢٠٠٨.

http://archive.tehelka.com/story_main37.asp?filename=Ne230208The_Doctor.asp.

١٧ - "فانفاشي شيتا أشرام يواجه قمع الدولة" جمعية تنمية الهند. <http://aidindia.org/main/content/view/908/343/>.

١٨ - "أين مخلصنا" بقلم توشا ميتال، تيهلكا ٤٩، العدد ٧ كاون الأول ٢٠١٠. انظر أيضاً إلى تقرير منظمة العفو الدولية عن انتهاكات حقوق الإنسان:

<http://www.amnesty.org/en/library/asset/ASA20/023/2009/en/b017737b-8810-4b37-a8fa-6e9a7fbfa534/asa200232009en.pdf>.

١٩ - انظر على البيان العام من منظمة العفو الدولية، ١٠ من تشرين الثاني من عام ٢٠١٠. http://www.amnesty.org/en/library/asset/ASA20/031/2010/en/d7b90262-946e-4fb2-9b1e-4974cc01bc16/as_a200312010en.html.

الفصل الرابع: ثمار فتنة كشمير

١ - "المقابلة الكاملة مع أوباما" بقلم جو كلاين، صحيفة التايمز، ٢٣ تشرين الأول من عام ٢٠٠٨.

http://swampland.time.com/2008/10/23/the_full_obama_interview/.

٢ - "في مواجهة الصين، أوباما يدعم الهند في مجلس الأمم المتحدة" بقلم شيريل غاي ستولبيرغ وجيم ياردي، صحيفة و، ٨ تشرين الثاني من عام ٢٠١٠.

<http://www.nytimes.com/2010/11/09/world/asia/09prexy.html?pagewanted=1&hp>.

٣ - "الوكالة الهندية تُصر على غرق سيدتين كشميريتين" بقلم يوسف جميل وليديا بولغرين، صحيفة نيويورك تايمز، ١١ كانون الأول من عام ٢٠٠٩.

<http://www.nytimes.com/2009/12/15/world/asia/15kashmir.html?fta=y>.

كتبت هيومن رايتس ووتش آسيا تقريراً عن ارتفاع معدل الاغتصاب على أيدي أفراد الأمن الهندي. انظر "الاغتصاب في كشمير: جريمة حرب" آسيا ووتش (قسم هيومن رايتس ووتش) وأطباء من أجل حقوق الانسان، المجلد ٥، العدد ٩ عام ٢٠٠٩.

<http://www.hrw.org/sites/default/files/reports/INDIA935.PDF>

٤ - "تهديدات منظمة باجرانغ دال لأروداتي روي" بقلم مراسل خاص، الصحيفة الهندوسية، ٢٨ تشرين الأول عام ٢٠١٠.

<http://www.thehindu.com/news/national/bajrang-dals-warning-to-arundhati-roy/article853157.ece>.

الفصل الخامس: يوم ديمقراطي رائع

١ - "شُتق أفضل غورو في سرية تامة، ودُفن في سجن تيهار" بقلم سانديب جوشي وآشوك كومار، الصحيفة الهندوسية، ٩ شباط من عام ٢٠١٣.

<http://www.thehindu.com/news/national/afzal-guru-hanged-in-secrecy-buried-in-tihar-jail/article4396289.ece>.

حتى المحامون الذين دافعوا عن حكم الإعدام شجبوا شتقه سرا ووصفوه بأنه "انتهاك لحقوق الإنسان. راجع "المدعي العام: شتق أفضل غورو السري انتهاك لحقوق الإنسان" بقلم مانوج ميتا، صحيفة التايم الهندية ١٣ شباط عام ٢٠١٣،

http://articles.timesofindia.indiatimes.com/2013-02-13/india/37078504_1_afzal-guru-mercy-petition-parliament-attack.

٢ - "شُتق أفضل غورو في سرية تامة" بقلم جوشي و كومار.

٣ - "سيد عبد الرحم جيلاني: افتكار بين أولئك الذين وُضعوا رهن الاحتجاز" بقلم سوميجا جولاتي، صحيفة اكسبرس الهندية، ١٠ شباط من عام ٢٠١٣.

<http://www.indianexpress.com/news/sar-geelani-iftikhar-among-those-placed-under-detention/1072061/>.

خلال المحاكمة، جرى إظهار جيلاني على أنه العقل المدبر للهجوم على الرغم من تبرئه في نهاية المطاف.

٤ - " الجماعات الإسلامية ترى الدوافع السياسية " بقلم محمد علي، الصحيفة الهندوسية، ١١ شباط من عام ٢٠١٣.

<http://www.thehindu.com/news/national/muslim-groups-see-political-motives/article4401021.ece>

الفصل السادس: تداعيات شنق أفضل غورو

١ - " رسالة تصل إلى زوجة أفضل غورو بعد يومين من الشنق " بقلم أحمد علي فياض، الصحيفة الهندوسية ١١ شباط ٢٠١٣.

<http://www.thehindu.com/news/national/otherstates/two-days-after-hanging-letter-reaches-afzals-wife/article4403636.ece>.

تقول ملاحظات فياض: " توضح الأختام والتوقعات على الرسالة أنها كُتبت في السادس من شباط، أو بعد ثلاثة أيام من رفض التماس العفو، وأرسلت قبل يوم واحد فقط من التنفيذ"، مما يوضح أن الإشعار المتأخر كان متعمداً.

٢ - وضع كشمير بعد شهر من تنفيذ شنق غورو: ٣٥٠ مدنياً، ١٥٠ جريحاً من رجال الشرطة، و٤ قتلى، " غرفة الأخبار، قناة كشمير وال، ١٠ آذار من عام ٢٠١٣.

<http://www.thekashmirwalla.com/2013/03/kashmir-350-civilians-150-cops-injured-4-dead/>.

٣ - انظر إلى " وثائق أفضل غورو " أونلاين: "النص الكامل: قضاء المحكمة العليا يدين ٩، من شباط عام ٢٠١٣. IBNlive.in.com أفضل غورو في قضية هجوم البرلمان".

<http://ibnlive.in.com/news/full-text-supreme-court-judgement-on-parliament-attack-convict-afzal-guru/371782-3.html>.

انظر أيضاً منشورات أرونداتي روي، يقول قارئ: قضية الهجوم على البرلمان الهندي العجيبة. (نيودلهي: بنجوين بوك الهند، ٢٠٠٦) والثالث عشر من كانون الأول، الإرهاب على الديمقراطية للمؤلف نيرمالانغشو مخرجي (نيودلهي: بروميلا، عام ٢٠٠٥)

٤ - " قليل من المشاركة في الهجوم الحقيقي، لقد قام بكل شيء. " انديان اكسبريس، ١٠ شباط من عام ٢٠١٣.

<http://www.indianexpress.com/news/-short-of-participating-in-the-actual-attack-he-did-everything...-/1072027/>.

٥ - "وثائق أفضل غورو": "لا يوجد دليل على أن غورو منتسب إلى عصابة أو منظمة إرهابية، حالما يُستثنى الاعتراف، حينئذ يمكننا القول إنه حتى إذا ما قبلنا إدلاءه بالاعتراف، فمن المشكوك بأمره أن يُنشر أنه عضو في عصابة أو منظمة إرهابية

٦ - "الإرهاب في جامو وكشمير بي النظرية والتطبيق" بقلم برافين سوامي، انديا انترفيو ٢ (تموز عام ٢٠٠٣). انظر أيضاً إلى المنظمات الجهادية في باكستان من الألف إلى الياء A to Z of Jehadi Organizations in Pakistan للمؤلف محمد أمير رانا (لاهور، باكستان: ماشال بوكس للنشر، ٢٠٠٤).

٧- انظر إلى "لماذا لا يجب أن يُشتق بالوانت سينغ راجوانا" بقلم يوغ مهيت شودري، الصحيفة الهندوسية، ٢٩ آذار من عام ٢٠١٢، <http://www.thehindu.com/opinion/op-ed/article3255057.ece>.

٨ - من أجل دليل جديد على أن الشنق كان متعمداً، انظر إلى الضابط إشرات بوروب: الحكومة خلف هجوم البرلمان ١١/٢٦. صحيفة التايمز الهندية، ١٤ تموز من عام ٢٠١٣. <http://timesofindia.indiatimes.com/india/Govt-behind-Parliament-attack-26/11-Ishrat-probe-officer/articleshow/21062116.cms>.

٩ - "مفتي كشمير الكبير" بقلم بشارت مسعود، صحيفة إنديان إكسبرس، ٧ شباط من عام ٢٠١٣.

[http://m.indianexpress.com/news/the-grand-\(standing\)-mufti-of-kashmir/1070526/](http://m.indianexpress.com/news/the-grand-(standing)-mufti-of-kashmir/1070526/). انظر أيضاً <http://m.indianexpress.com/news/j-k-lawyer-to-challenge-grand-mufti-s-status/1070521/> ، <http://bigstory.ap.org/article/kashmir-girl-band-breaks-after-threats>.

١٠ - "شرطة كشمير تنشر نصائح فيما يتعلق بالنجاة من الحرب النووية" بقلم إيجاز حسين، أسوشيتد برس، ٢٢ كانون الثاني عام ٢٠١٣. <http://bigstory.ap.org/article/india-warns-kashmiris-possible-nuclear-attack>.

الفصل السابع: خطاب موجه إلى جامعة الشعب

١- " رفعت الصفقات السعودية من مبيعات السلاح الأمريكي إلى مستوى قياسي ليصل إلى ٦٦.٣ مليار في عام ٢٠١١" بقلم أندريا شالاي إيسا، رويترز المملكة المتحدة، ٢٧ آب من عام ٢٠١٢.

<http://uk.reuters.com/article/2012/08/27/uk-usa-arms-sales-idUKBRE87Q0UT20120827>.

٢- " مبيعات السلاح في الهند" بقلم ستيفن ب. كوهن وسونيل داسغوبتا، الشؤون الخارجية، آذار/ نيسان من عام ٢٠١١.

<http://www.foreignaffairs.com/articles/67462/sunil-dasgupta-and-stephen-p-cohen/arms-sales-for-india>.

٣- " موكيش أمباني تصدر التصنيف للعام الثالث كأغنى أغنياء الهند" فوربس آسيا، تحرير الأخبار، ٣٠ أيلول من عام ٢٠١٠. يشير المقال إلى أن "صافي الثروة المجمعة لأغنى ١٠٠ شخص في الهند تُقدَّر بـ ٣٠٠ مليار دولار، مرتفعة من ٢٧٦ مليار دولار العام الماضي. هناك ٦٩ مليارديراً في قائمة أغنياء الهند هذا العام، بزيادة ١٧ عن العام الماضي". الناتج المحلي الإجمالي للهند لعام ٢٠٠٩ كان ١.٢ دولار تريليون.

٤- "ارتفاع حالات انتحار المزارعين في ولاية ماهاراشترا، ولا تزال الولاية في أعلى القائمة". بقلم بالاغومي سايناث، الصحيفة الهندوسية، ٣ تموز من عام ٢٠١٢،

www.thehindu.com/opinion/columns/sainath/article3595351.ece.

الهيئة العامة السورية للكتاب

الفهرس

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٧ | تمهيد |
| ١١ | تلقي الرئيس التحية |
| ١٣ | القسم الأول |
| ١٥ | الفصل الأول: الرأسالية: قصة شبح |
| ٥٩ | الفصل الثاني: أفضل ألا أكون أنا |
| ٦٧ | الفصل الثالث: الأموات يتكلمون |
| ٧٧ | القسم الثاني |
| ٧٩ | الفصل الرابع: ثمار فتنة كشمير |
| ٨٧ | الفصل الخامس: يوم ديمقراطي رائع |
| ٩٣ | الفصل السادس: تداعيات شتق أفضل غورو |
| ١٠٣ | الخاتمة |
| ١٠٣ | الفصل السابع: خطاب موجه إلى جامعة الشعب |
| ١٠٧ | ملاحظات |
| ١٢٥ | الفهرس |

أرونداتي روي (١٩٥٩ -)

- كاتبة هندية؛
- درست الهندسة المعمارية في نيودلهي؛
- عملت كمصممة أفلام وكاتبة سيناريو في الهند؛
- حازت روي جائزة الحرية الثقافية من مؤسسة لانان لعام ٢٠٠٢؛
- من أعمالها المؤلفة:
 - إله الأشياء الصغيرة، حيث نالت عنها جائزة بوكر عام ١٩٩٧،
والتي تُرجمت إلى عشرات اللغات في جميع أنحاء العالم؛
 - ملاحظات ميدانية حول الديمقراطية.

الهيئة العامة
السورية للكتاب

منور الزعبي

- مترجمة سورية؛
- حاصلة على إجازة في اللغة الإنكليزية وآدابها، جامعة دمشق؛
- من أعمالها المترجمة:
- هل حياتك مخطط لها / للمؤلف د. ديفيد هاملتون / دار الخيال - لبنان ٢٠١٩
- كن على حقيقتك / للمؤلف درو كانولي / دار سمارت مايند - الإمارات / ٢٠٢١
- تأثير شهر العسل / للدكتور بروس لبيتون / دار سمارت مايند - الإمارات / ٢٠٢١

الهيئة العامة
السورية للكتاب



الهيئة العامة السورية للكتاب